توفيق الحكيم

تحت المصباح الأخضر

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة

مطبعة التوكل بالجماميز

١٩٤٢

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى اللغة العربية

محمــــــد	(الطبعة الاولى : مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية : مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)
شهـرزاد	(مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)
أهل الكهف	الطبعة الاولى : مطبعة مصر عام ١٩٣٣ الطبعة الثانية : مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٤ الطبعة الثالثة : مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠
عودة الروح فى جزئين	(مطبعة الرغائب عام ١٩٣٣)
أهل الفن	(مطبعة دار الهلال عام ١٩٤٠)
مسرحيات توفيق الحكيم	المجلد الأول : ويشمل قصص : سر المنتحرة ، نهر الجنون ، رصاصة فى القلب ، جنسنا اللطيف . (مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)
القصـــر المسحور	بالاشتراك مع الدكتور طه حسين بك : (مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

مسرحيات توفيق الحكيم	المجلد الثانى : ويشمل قصص . الخروج من الجنة ، أمام شباك التـذاكر ، الزمار ، حياة تحطمت . (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)
يوميات نائب فى الأرياف	الطبعة الاولى مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧ الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر عام ١٩٣٨
عصفور من الشرق	الطبعة الاولى مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ الطبعة الثانية مطبعة التوكل عام ١٩٤١
تحت شمس الفكر	الطبعة الاولى مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ الطبعة الثانية مطبعة التوكل عام ١٩٤١
تاريخ حياة معدة	مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التى نشرت بالعربية

عهد الشيطان : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

براكسا أو مشكلة الحكم : مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

راقصة المعبد : مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

نشيد الأنشاد : مطبعة مصر عام ١٩٤٠

حمار الحكيم : مطبعة التوكل عام ١٩٤٠

سلطان الظلام : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

من البرج العاجى : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

تحت المصباح الأخضر : مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى لغة أجنبية

شهرزاد	ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج ليكونت عضو الاكاديميه الفرنسية .
عودة الروح	ترجم ونشر بالروسية فى ليننجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧.
يوميات نائب فى الأرياف	ترجم ونشر بالفرنسيه عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور حافظ عفيفى باشا
أهل الكهف	ترجم ونشر بالفرنسيه عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت مدير دار الآثار العربيه
عصفور من الشرق	ترجم ونشر بالفرنسيه عام ١٩٤١

قال المسيح لتلاميذه : « خذوا كلوا هذا هو جسدي ، خذوا اشربوا هذا هو دمي . . . الذي يسفك من أجل كثيرين . . . »

استطيع أنا أيضاً أن أقول لقرائي عن مجلدات كتبي : « خذوا كلوا هذا هو جسدي ! » وعن عصارة فكري : « خذوا اشربوا هذا هو دمي . . . الذي يسفك من أجلكم ! »

. .

تحضرني دائماً كلمة لأوسكار وايلد ، ذلك الشاعر الذي كانت حياته مائدة منمقة بالورد والخمر . لقد حابته الطبيعة ، فكان جميلاً في كل شيء : في منظره وحديثه ومشاعره وكياسته . ذلك الشاعر عاش الجمال اكثر مما أبدعه وصوره . ولقد أدرك ذلك من نفسه

فقال : « لقد وضعت كل عبقريتي في « حياتي » ، ولم أضع في « كتبي » الا بعض مواهبي ! »

استطيع انا أيضا ان أقول ... لكن نقيض ذلك :

« لقد وضعت كل مواهبي (ان وجدت) في « كتبي » ، ولم أضع شيئا في « حياتي » !

. .

هكذا أعبر الوجود الأرضي : نهاري في برج عاجي ، وليلي تحت مصباح أخضر !

ت . ا

يناير ١٩٤٢

ابن عبد ربه

فى قهوة « الشقيقات الثلاث »

استعرضت فى رأسى البارحة شريطا ذا ألوان من ذكريات الماضى . أما الألوان فكانت خضرة داكنة لأشجار الزيزفون والكستناء المحيطة بذلك الوكر الجميل المسمى «أورياج» ، ألقته يد الطبيعة فى بطن واد سحيق من وديان « الألب » ، ليذكر البشر بالفردوس المفقود .

ولقد هبطت هذه الجنة فى شهر أغسطس عام ١٩٣٨ أحمل حقيبة واحدة ، فيها « بذلة » واحدة وكتاب واحد : هو « العقد الفريد » بكامل أجزائه .

ولم تكن الحقيبة تتسع لغير هذا الثوب وهذا الكتاب ، ولم يكن شىء أبغض إلى نفسى فى الأسفار من كثرة الحقائب ، فطال ترددى وأنا أتجهز للسفر : أأحمل « بذلة » أخرى وأترك « ابن عبد ربه » ؟ واستقر عزمى آخر الأمر على إيثار « الزميل » أعبر به البحار والجبال ، وأصطحبه إلى بلاد لم تطأها قدمه ، وأريه مناظر لم ترها عينه ؛ فللأديب على الأديب حق ، وليس من الوفاء حرمان ابن عبد ربه مثل هذه النزهة . فنبذت الثياب وأخذت الأديب ، وانطلقنا . . . .

***

بلغنا جنة «أورياج» ، ونزلنا فندق «الروض» وهو بناء جميل أقيم على بساط من العشب ، قد اضطجعت عليه حور من الفرنسيات يتحدثن فى ظل الأغصان المدلاة إلى ولدان وفتيان ، أو يصغين إلى أنغام موسيقى يحملها النسيم ، تعزفها فرقة فى شبه ميدان وسط المصيف .

وكانت مائدة طعامى بالفندق فى طرف ناء ، فلقد احتل من نزل قبلى الأفاريز المشرفة على المناظر الرائعة ، ولكنى لم أحرم مع ذلك منظر مائدة إلى جوارى جلس إليها فتى وفتاة ، قيل لى إنهما تزوجا حديثا .

لقد كانا زهرتين ناضرتين فى باقة « فندق

الروض » . وكنت أنا دائما وحدى ، ليس معى من رفيق غير « ابن عبد ربه » وقد وضعته أمامى فوق المائدة إلى جانب زجاجة « الفيشى » .

نعم ، لم يكن يخطر لى على بال أن هذا الأديب يلازمنى على هذا النحو فى كل مكان . لقد اعتدت ملازمته كما اعتدت من قبل ملازمة عصاى .

فأنا لا أخرج من الفندق فى الصباح ، ولا أعود فى المساء ، ولا أذهب إلى قهوة ولا إلى ملهى إلا ومعى « ابن عبد ربه » . حقيقة أن فى جوف هذا الأديب كثيرا من طلى الحديث ، وهو خير أنيس وجليس فى مثل وحدتى وعزلتى .

ولكن ... أما كتب لى أن أظفر بجليس أجمل منه سحنة وأعذب منه صوتا ؟ لقد كنت

أتأمل من طرف خفى هـذين الزوجين السعيـدين ، فيخيل إلى أنى أرى منهما أشياء . إنهما لا يتحادثان كثيرا ، وكل منهما يأكل وهو مطرق ، ولقـد لحظت أن الزوج ما يكاد يفرغ من أمر طعامه حتى يترك امرأته ويختفى اختفاءة لا يظهر بعدها إلا على مائدة الوجبة التالية . وكان الذى يشغل فكرى وقتئذ البحث عن «قهوة» هادئة أجعلها مقراً لى وللأديب الذى معى وللورق الذى فى جيبى . فأنا لا مطمع لى فى رياضة شاقة كتسلق الجبال ، ولا رياضة هادئة كلعب «التنيس» . وليس فى النـاحية جدول قريب أصطـاد منه السمك ، وهى رياضتى الوحيـدة التى أحذقهـا . أستغفر الله ! . . (أخشى أن يسمع طه حسين كلمة « أحذقهـا » وهو الشـاهد العـدل

على مبلغ حذق إياها !)[١] . وعثرت آخر الأمر عند أقدام أشجار باسقة قد تهدلت أغصانها كجدائل الشعر الكثيف ، على « قهوة » صغيرة فى شبه كوخ من خشب نثرت حوله المقاعد والموائد . فقلت فى نفسى : ها هنا مكانى . فاتخذت مقعداً فوق العشب ، والتفت أطلب الساقى يحضر إلى فنجانا من الشاى . فاذا أنا أمام ساقية كالبدر . وإذا أخرى على باب الكوخ كالشمس . وإذا ثالثة وهى الصغرى تخطر فى خفة الغزال بين الموائد ، ناثرة قطرات اللطف والظرف ، فى صورة ابتسامات ساحرات ، ذات اليمين وذات الشمال ، إذا قلت إنى فى حياتى لم أر أظرف من هذه الفتاة ما كذبت ، وإذا أقسمت أن هذه الفتاة ما خلقت إلا لتتلقى نظرات الاعجاب من

(١) راجع كتاب « القصر المسحور » .

الناس لما حنثت . الدليل تلك الأعين التى ترمقها من كل جانب ، وتلك الأفواه التى تناديها من كل مائدة . كان اسمها « فرانسواز » .

وفرغت من دهشى قليلا فأجلست ابن عبد ربه على مقعد خال بجوارى ، وأردت أن أشير إلى الفتاة لأطلب فنجان الشاى ، وإذا غيرى يسبقنى :

– فرانسواز ! كأساً من البيرة .

فانتظرت لحظة . ثم هممت بندائها . وإذا صوت آخر :

– فرانسواز ! كوباً من شراب البرتقال !

فسكت مرغماً . ثم عاودنى الأمل فرفعت رأسى إليها وإذا صيحة :

– فرانسواز ! فرانسواز !

فالتفت فاذا ذلك الزوج الشاب الذى يهجر زوجته فى الفندق بعد كل طعام ، قد جاء فى شبه ركض وجلس إلى مائدة قرب مكان الفتاة ، وطفق يحدثها حديثاً ازدحم به فمه ، وهى تضحك أحيانا ضحكا رقيقاً يتمايل له غصنها الرشيق . وأشرقت السعادة فى وجه الشاب . وإذا صفاؤه قد عكره صوت فتيان آتين بملابس « التنيس » يصيحون قبل أن يجلسوا :

— فرانسواز ! فرانسواز !

فالتفتت إليهم الفتاة وابتسمت ، ثم استأذنت محدثها وانطلقت إليهم . فاستقبلوها فى شبه هتاف وظلوا لحظة يتضاحكون . هؤلاء، فيما يخيل إلىّ فتيان من طلبة الجامعات ، فان هذرهم وضجيجهم وما

يبدو من سنهم ينم عن ذلك . وكان أكبرهم سناً فتى معتدل القامة جميل المنظر فى سروال « التنيس » الأبيض وقميصه الخفيف وسواعده العارية وكان هو أكثرهم اهتماما بأمر الفتاة . طفقت أنظر إلى كل هذا ، وذكرت أن ذقنى لم يحلق منذ ثلاثة أيام ، وتلك أيضا عادة من عاداتى ، فأنا لا أفكر فى ذقنى وهندامى إلا مصادفة . ثم ذكرت قلنسوتى «البيريه» التى تهبط إلى أذنى كأنها « لبدة » وعصاى الغليظة وكتابى الضخم بغلافه السميك القديم ، كأنه سفر من أسفار السحر والتنجيم . فأدركت أن منظرى لن يؤهلنى إلى طلب فنجان الشاى فى هذه القهوة ! أأنهض إلى غيرها ؟ هذا مستحيل . إن هذا الجو الشعرى الجميل الذى يكتنف هذه القهوة هو فى ذاته

متعة دونها كل متعة . وطال جلوسى ، وطالت مشاهدتى ، ومر الوقت سريعاً دون أن أشعر به ، وقام أناس ، وقعد أناس ، وأنا فى مكانى لا يشعر بى أحد ، ولا أطلب شيئاً إلى أحد . لقد خجلت أن أسترعى التفات الشقيقات الثلاث ما دامت أنظارهن لا تريد أن تقع على مثلى ! وجعلت أسائل نفسى فى نبرة مريرة ، وروح كسيرة :

— ماذا يمنعنى من أن أعيش كما يعيش هؤلاء الأحياء ؟ ما أحسبنى قد بلغت سن اليأس ، وأنا الآن بالمصيف فى شهر راحة . ما يمنعنى من حلق ذقنى كل صباح وترتيب شعرى وتعريضه للشمس والهواء ، وارتداء مثل هذا السروال الأبيض الجميل والقميص ذى السواعد العارية ؟ لم أتلق جواباً عن

سؤالى . ولكن نظرة منى وقعت على صديق « ابن عبد ربه » الموضوع إلى جانبي أدركت معها فى الحال من المسئول عن كل ما صرت إليه !

نعم ، واأسفاه ، نعم . ووددت لو أنقض عليه فأقطعه تقطيعاً وأمزقه تمزيقاً . ولكنى اكتفيت بحمله بين يدى فى سخط شديد ، كمن يحمل كتابه الذى سطرت فيه لعنته وقدره المحتوم .

وعند ذلك حانت من الفتاة التفاتة إلى ، وفطنت إلى وجودى ، فأسرعت إلىّ تقول فى ابتسام واعتذار :

– نسيتك يا سيدى .

فأجبتها فى ابتسام وتسامح :

– لا بأس ، إنك على كل حال لم تنسى شيئاً

ذا خطر .

وأحضرت إليّ ما طلبت . ولم نتبادل كلاما أكثر من ذلك . ولكنى سعدت به . فنحن معشر الأدباء المساكين نرضى بالقليل . ويكفى لاسعادنا وإلهامنا أتفه الأشياء .

***

كثر اختلافى إلى هذه القهوة . وكنت فى كل مرة أرى عين الأشخاص يلعبون عين الأدوار .

فالطالب فى لباس «التنيس» ينادى «فرانسواز» فى كل لحظة ، ولا يشبع من الحديث معها ، ولا يضن بطلب مشروب بعد مشروب ، استبقاء للساقية الجميلة إلى جواره . ولقد سمعته ذات مرة وقد انفلتت من فمه هذه الكلمة :

- أوه ! لقد خربت وأفلست ، وأضعت كل نقودى فى هذه القهوة !

ويلبث فى سروره وضحكه وهذره ساعة ثم يمضى إلى ملعبه ، مطوحا « بمضربه » فى الهواء فرحاً سعيداً .

ويأتى الزوج الشاب ، وقد ترك زوجته فى الفندق وحيدة متذمرة تعسة مرتابة . فينادى : « فرانسواز » . ويطلب السعادة هو أيضاً ساعة فى عينيها الباسمتين غير مبال بخطر فقد زوجته فى هذا السبيل .

تأملت كل هذا لحظة ثم قلت لنفسى :

— هذان شابان جميلان . ومع ذلك فقد أضاعا شيئاً فى سبيل لحظة هناء إلى جوار هذه الفتاة . ماذا أعطى أنا من أجل لحظة تحادثنى فيها هذه

الفتاة ؟ نعم ، هنا كل سعادتى ومطمعى : أن أسترعى اهتمامها لحظة وأن تقبل علىّ تحادثنى حديث المشغوف بمحادثتى !

لكن .. هل هذا ممكن الحدوث وقد ابتليت بصحبة هذا الزميل المنحوس ؟ وانكببت على ورق الذى كنت قد نشرته . وفتحت صدر ابن عبد ربه أمامى ووضعت فيه همى . وكأن القدر شاء مداعبتى أو أراد متعمداً أن يكشف لى قليلا عن جوهر نفسى المحجوب عن عينى ، فأحدث المعجزة . وإذا الفتاة تدنو منى مبتسمة متعجبة وتقف لحظة ترمق سطور ابن عبد ربه وهى صامتة ، وفطنت إلى قربها ، فاضطرب قلبي ورفعت رأسى ، فابتدرتنى قائلة فى همس :

— أهذه كتابة صينية ؟!

فضحكت وقلت :

— بل عربية .

— ما أعجبها ! أتستطيع أن تقرأ هذا النبش في سهولة ؟

— بالطبع . وأكتبه أيضاً .

— وتكتبه ؟

— نعم . انظرى . .

ومضيت أكتب أمامها . وهى دهشة مسرورة . وجعلت تستفسرنى كثيراً من معانى الكتاب وقاطعها النداء من كل جانب ؛ فكانت تذهب لتلبى ثم تعود إلىّ تحادثنى مغتبطة ، وقد تطرق الحديث إلى مواضيع كثيرة . وقد أدركت

من حديثى أن الكتابة صناعتى ، فأقبلت تعرض علىّ ألوانا من حياتها تصلح قصصاً . وبدا علىّ السرور أول الأمر ، وبدأت أحترم ابن عبد ربه ، فبفضله تم كل هذا ، ولكن ما كدت أتردد على القهوة مرة أخرى وتقبل علىّ الفتاة تحادثنى ذلك الحديث الطويل فى مختلف الشئون ، حتى أحسست أن كل شىء قد تغير فى نفسى ؛ فالأشجار ليست الأشجار ، والجنة ليست الجنة ، ووجهها لم يعد فيه السحر القديم ، والجو الشعرى قد ارتفع عن القهوة . ذهب السحر وتهتكت أستار الأسرار . وما أنا والفتاة الآن إلا صديقان ثرثاران !

وشعرت عندئذ أن لا شىء عاد يربطنى بالقهوة ووددت لو أتركها إلى غيرها حتى أتفرغ للعمل ، وأتم

الفصول الأولى التى بدأتها مدفوعا بتلك القوة الهائلة من لحظة سعادة خفيفة مرت . عند ذاك فهمت أن السعادة التى تلزم لنا نحن الفنانين ، لنقوم بالأعمال الكبار ينبغى أن تكون بمقدار ! ! مقدار صغير ثمين مثل « الراديوم » . فاذا انغمرنا فى حوض من هذه المادة السحرية فانها تنقلب فى نظرنا ماء قراحا لا فعل له ولا أثر .

وتأبطت « ابن عبد ربه » أخيراً ، وانصرفت به وقد ... انتصر !

روميو وجوليت

عند الفردوسى

عاش هذان الاسمان الجميلان : « روميو وچوليت » أجيالا بعد أجيال يلقيان فى الأذهان أبرز صورة للحب الجميل العنيف . وقد ينسى الناس كثيراً من التفاصيل فى قصة « شكسبير » . وقد لا تعى ذاكرتهم أغلب المواقف . ولكن هنالك شيئين لا ينساهما الناس : الأول أن هذا الحب نشأ

بين زهرتي بيتين فرقت بينهما العداوة المتأصلة والأحقاد الدفينة، فكان على الحب وحده أن يجاهد جهاد المستميت على شفا تلك الهوة الملتهبة التي تفصل بين قلبين رقيقين لم يخلقا للبغضاء، وإنما خلقا ليتآلفا ويبتسما وينشرا على الأرض الصفاء : والثاني : تلك الليلة العجيبة الخالدة في تاريخ الغرام البشري ، ليلة اللقاء في الشرفة ، ليلة أن تسلق العاشق الجميل شرفة معشوقته الجميلة ، ليختلس من القدر القاسي لحظة هناء . تلك الليلة الذهبية التي تواطأ فيها القمر مع النجوم بمعاونة الأشجار والنسيم ، على إحاطة العاشقين باطار بهيج من أضواء وهمسات وتنهدات ، هي خير ما تقدمه الطبيعة من هدية إلى محبين في ساعة النجوى واللقاء .

إذا رجعنا إلى شاهنامة الفردوسى ، وقرأنا فيها قصة « دستان وروذابة » وهى سابقة على قصة « روميو وجولييت » بنحو خمسة قرون ، لوجدنا هذين الموقفين بالذات . ولندع الفردوسى يتكلم بلسان مترجمه « البندارى » . . قال :

« فلما جن الليل جاء دستان ووقف عند أصل القصر . وأشرفت عليه روذابة من بعض شرفاته . فسدلت « شعورها » ، وأشارت إليه أن يتعلق بها ويصعد . فامتنع « دستان » من ذلك « ولثم » تلك الضفائر المسكة ، وعلق « رمحه » بالحائط وصعد فى أسرع من رجع الطرف . فاجتمعت الشمس والقمر . وطال بينهما الحديث والسمر ، وباتا يتشاكيان حر الاشتياق ، ويتفاوضان ذكر الفراق فى مجلس فرش

قصة دستان وروذابة

بالديباج والحرير ، ونضد بالمسك والعبير . فلما نفحت نسائم السحر ، وتشعشعت تباشير الصبح ، وغردت سواجع الأطيار فى عذبات الغصون والأشجار ، قام دستان فودعها ، فتعانقا وتحالفا على ألا يقرب كل واحد منهما غير صاحبه حتى يجمع الله بينهما « بالزواج » .

فافترقا على ذلك . وجاء دستان إلى مخيمه . فلما طلعت الشمس جمع الوزراء والأمراء وشاورهم ، وأعلمهم بأنه يريد أن يتزوج بروذابة الجميلة ابنة « مهراب » . فصاحوا :

— ابنة مهراب ، وهو من أولاد الملك « الضحاك » وأنت دستان بن سام ، سليل الملك منوجهر ؟!

– وماذا فى ذلك ؟

– لا يخفى عليك ما بين البيتين من العداوة والشحناء . ولا يرضى أبوك سام ولا الملك منوجهر ، بأن يجرى بينكما امتزاج واتشاج . وإن سمعا بميلك هذا احتدما غيظاً ، وصعب استرضاؤهما ، وتعذر استعطافهما .

فلما سمع دستان ذلك أطرق محزوناً مكتئباً . ثم أقبل عليهم وقال :

– لا بد من إعمال الفكر فى ذلك ...

فأشاروا عليه آخر الأمر بأن يكتب إلى أبيه ويتضرع إليه ، ويعرض عليه ما بلى به من العشق ، فلعله يرق قلبه ويتشفع إلى الملك .

فاستصوب الرأى . وأحضر الكاتب وأمره

أن يبعث إلى أبيه برسالة يفصل فيها الأمر . فلما
وصل الرسول بالكتاب إلى أبيـه ، وفض الأب
ختـامه وقرأه أخـذه الوجوم وتنـاوشته الهموم ،
ورأى أن ما خامر قلب ابنه من حب روذابة أمر لا
يرتضيه الملك منوجهر . فأحضر المنجمين والحكماء ،
وشاورهم فيما هجس فى ضمير ولده ، فأخبروه أن الله
أجرى قلم التقدير فى اللوح المحفوظ باقتران السعدين
واجتماع النيرين بتواصل البيتين ، وأنه يولد بينهما ولد
يملأ الدنيا مهابة وقهراً ، وشهامة وفخراً . فتمشت
نشـوة الفرح فى رأس سـام ، فدعا برسـول ولده
دستان ، وأمره بالرجوع إليه يبشره بقبوله السعى
فى قضاء حاجته وإنجاح مطلبه . ونهض سام من
فوره لاستئذان الملك فى إنشـاء هـذه المصاهرة .

وبلغت مسامع الملك منوجهر أن ابن سام يريد الاتصال ببنت مهراب ، وأن سام موافق على ذلك ، ناهض إلى حضرته لاستئذانه ، فاحتدم غيظا واستشاط غضباً . وجمع وزراءه وقواده وفاوضهم فى ذلك وهو يقول :

– أخاف أن يكون تحت هذا الرماد جمر يثور منه دخان ، إذا حصل تزاوج بين ابن سام وبنت مهراب ، وهى شعبة من الدوحة الضحاكية . والحزم ألا يفتح لهما طريق إلى هذا . وألا يمكن سام من السؤال فى ذلك المعنى .

وقدم سام فاستقبله الملك على العادة المعهودة ، وتلقاه بالاعظام والاكرام . وما كاد سام يفتح فاه ليستأذن الملك فى الاتصال ببنت مهراب ، حتى

أسرع الملك قائلا له :

— إنا تدبرنا فى أمر مهراب ، وأنه شعبة من تلك الجرثومة الخبيثة ، ولا بد من قلعها واستئصالها . وقد اقتضت آراؤنا أن تنهض أنت لكفاية أمره واستصفاء مملكته ، واستضافتها إلى ما فى يدك من ممالك الهند !

فلما رأى سام أن الملك قد سد عليه طريق ملتمسه كف لسان سؤاله ، وسارع إلى الانقياد . فقبل الأرض وخرج متوجهاً نحو ممالك الهند .

وتناهى الخبر بذلك إلى دستان ومهراب . فقامت القيامة على مهراب وأصحابه ، ويئسوا من الحياة . وضاقت الأرض على دستان ، لأنه كان السبب فى إيقاد نار الفتنة ، وتوقد من الغيظ متنمراً

كالثعبان الصائل . وصاح :

— إن مهراب نسيبي ، وهو معتضد بقوة بأسى وشدة مراسى ، ولا يقدر العقاب أن يطير على ساحة مملكته ، ما دام هـذا الرأس على جسدى ، واستقر هذا الصمصام فى يدى !

ثم جاء الخبر بمقدم أبيـه فخرج لاستقباله . وما خلا أحدهما إلى الآخر ، حتى أخذ دستان يبث إليه شكواه ويذكره بمعاهدته إياه على مواتاته فيما يطاب ، إلى أن قال له فى زفرة الموجع :

— لكأنك الآن يا أبى لم تقدم إلا على ما يوغر صدرى ويوحش قلبى ويفجع بروحى شخصى ، لما أنت عليه مصمم من محـاربة مهراب وتخريب دياره وانتهاب خزائنه . فان كان الأمر هكذا ، فهأنا ذا

واقف بين يديك مسلم زمام قيادي إليك . فخذ رأسي أولا ثم خض في محاربة مهراب بعد ذلك !

فرق عندئذ قلب الوالد . وطفق يفكر في وسيلة تخرجه من هـذا الموقف . فأطرق مليـا ، ثم رفع رأسه وقال :

— ليس أمامي غير طريق واحد : أن أنفذك يا بني إلى خدمة الملك ، واكتب إليه كتابا استعطفه واسأله الانعام عليك بمـا يفضي إلى إنجـاح مآربك وقضاء حوائجك .

***

وجاء الخبر إلى الملك منوجهر بوصـول دستان فاستقبله أعيان القواد وأمراء الأجناد . ولمـا قرب من السرادق رفعت دونه الستور حتى دخل . فلمـا

وقعت عينه على الملك قبل الأرض ووضع جبهته على التراب وبقى كذلك ساعة ، فأشار الملك إلى من رفع رأسه من الأرض وقربه إلى التخت ، فلاطفه فى فى خطابه وسأله عن حاله وما تحمله من وعثاء السفر فى حله وترحاله فقال دستان : كل تعب يفضى إلى لقائك فهو راحة وسرور ، وكل عناء يقع فى الطريق إليك فهو مسرة وحبور .

ولبث دستان أياماً فى قصر الملك وقد سر به الملك وقربه إليه وأنزله من نفسه منزلة رفيعة . وقرأ الكتاب الذى جاء به . فتفكر فى الأمر . وطلب العلماء والحكماء ومن تبحر من المنجمين وأمرهم بالبحث فى طالع دستان ، وعما يؤول إليه حاله فى هذه المصاهرة . فلبثوا ثلاثة أيام يعملون دقائق النظر

وثواقب الفكر فى تطلب علم ما وارته ستور الغيب .

ثم جاءوا إلى باب منوجهر وقالوا :

– أيها الملك : إنه قد ظهر لنا أن سيولد بين ابن سام وبنت مهراب ولد كبير القدر ، رحب الصدر ، يشد وسطه فى هذه الممالك لخدمة الأملاك ويرفع قواعد المجد على ذرى الأفلاك !

فلما سمع الملك ذلك فرح وأمر باحضار دستان فبشره وأثنى عليه وخلع عليه خلعة تليق بمثله ، وأمر أن يكتب إلى سام بأن الملك قد قر عيناً بطلعة دستان وانشرح صدره بمحاسن آدابه ، وأنه تقدم بانجاح مطالبه وقضاء مآربه .

***

وانصرف دستان من حضرة الملك منوجهر

كالطير فى الهواء ، فلم يشعر به أحد حتى طلع على أبيه ، فوثب إليه وعانقه . ثم أعدا العدة للنهوض إلى لقاء مهراب ، فقد آن الأوان لاجتماع القمرين واقتران السعدين . فركبا حتى انتهيا إلى كابل فرأيا الأرض تطن بخفق الطبول ونقرات السرور . واستقبلهما أهل البلد راكبين ، قد ضمخوا أعراف الخيول بالمسك والعنبر . وخرج مهراب لاستقبالهما ، وأمر بشد الكوسات والطبول على مناكب الفيول ، وركوب العساكر فى موشمات الملابس ، ونشر عذبات الرايات والأعلام ، وخروج القيان والمغانى بالمزاهر والمعازف .

وسار دستان فى هذا الجمع كالهلال ليلة العيد يشار إليه بالأصابع ويرمى نحوه بالنواظر ، حتى انتهوا

إلى القصر فنزلوا ورفعت دونهم الأستار ودخلوا الايوان المذهب والمجلس المنجد .

فقال سام :

– ألم يأن أن تقر ألحاظنا بالخريدة النادرة والعقيلة الرائعة ؟

فرفع الستر . وإذا هو يرى روذابة فوق المنصة متجلية كالشمس البازغة . فبهت لرونق جمالها . وطلب مهراب فتقدم وعقدوا العقد . ثم أخذوا بيد دستان وأقعدوه إلى جانب صاحبته ، ونثروا على سريرهما المنجد أطباق الياقوت والزبرجد . وكانت تلك الليلة من الليالي الزهر ومن حسنات الدهر :

فيا ليلة فيها السماء تبرجت

سروراً كخود فرعها فاحم جثل

وقد جلت الأكليل جبهتها لنا

بكف خضيب والهلال لها حجل

وقد أشعلت زهر النجوم أمامها

مشاعل منها أشرق التل والسهل

زفاف به السعدان فى فلك العلى

قد اجتمعا ، لا فض بينهما الشمل

الخاتم السحرى

البارحة تحت مصباحى الأخضر فتحت كتاباً وردت فيه هذه الأسطورة من أساطير الشرق القديمة :

« ... فى سالف الأزمان عاش رجل ألقت إليه السماء بخاتم نادر الوجود ، خاتم من حجر كريم تنبثق منه أشعة عجيبة مختلفة الألوان ، خاتم سحرى

١) هو Decameron

من حمله وآمن به فقد رضى عنه الله ورضيت عنه الناس . فحرص عليه الرجل ووضعه فى أصبعه لا ينزعه منها قط . ورأى أن يحفظه فى بيته يتوارثه خير الخلف عن خير السلف . فأوصى أن يؤول هذا الخاتم من بعده لأحب أولاده إليه ، وأمر أن يورثه هذا الولد لأعز أبنائه عليه . دون أن يكون للسن فضل ولا للأكبر من الأبناء حق . وأن يعطى الخاتم الأحب من الأولاد دائما ؛ ويكفل لمن حازه حق زعامة البيت .

وسارت الأحوال على هذا المنوال أجيالا بعد أجيال ، وانتقل الخاتم من ابن إلى ابن ، حتى وقع آخر الأمر فى يد رجل له ثلاثة أبناء كلهم حبيب إلى قلبه عين الحب ، وكلهم قد أنزله من نفسه عين المنزلة .

وكان كلما خلا إلى أحدهم فى غيبة صاحبه خيل إليه أنه أفضلهم عنده . فحمله الضعف على أن همس فى أذن كل من الثلاثة على انفراد بأن الخاتم له دون سواه .
وحضرته المنية آخر الأمر ، فوقع فى حيرة ، وفكر طويلا وتأمل كثيراً ، ماذا يصنع ؟ وهدته السماء إلى فكرة سطعت كالنور الالهى . فاستدعى سراً صائغاً من مهرة الصياغ ، وأمره أن يصنع له خاتمين على مثال خاتمه . وأوصاه أن لا يدخر مالا ولا جهداً فى سبيل إتقان التقليد . وصدع الصائغ بالأمر ، ومضى بالخاتم وغبر ملياً ثم عاد بالخواتم الثلاثة فوضعها أمام الأب . فنظر إليها الأب فأخذه العجب : إنه لم يستطع أن يخرج الأصيل من الدخيل ، ولم يعد يميز الصادق من الزائف . ففرح وطلب أولاده .

واجتمع بكل واحد منهم منفرداً وأعطاه الخاتم ، ودعا له بالبركة . ثم أسلم الروح ... وواري الأبناء أباهم في التراب . وما كادوا يفرغون من أمره حتى أبرز كل خاتمه ، وادعى انه صاحب الحق في زعامة البيت . ووقع بينهم الخلاف ، ودب الشجار وتفاقم النزاع . والكل شديد الاقتناع أن خاتمه هو الصحيح ، ولكن من ذا يستطيع تمييز الصحيح من الباطل ؟ وذهب الجميع إلى القاضي ، وهنالك صاح كل من الأبناء طالبا الحكم له . وأقسم أنه قد تسلم الخاتم من يد ذلك الوالد الكريم . وأنه هو دون أخويه حامل الخاتم الصحيح .

فحار القاضي ، ولم يدر ماذا يصنع ، ولا كيف يقضي في هذا الأمر العسير ، فصاح :

– أحضروا أمامى أباكم أسأله .

فقالوا :

– إنه ميت فى التراب كيف نستطيع إحضاره ؟

فقال القاضى :

– وأنا كيف أستطيع أن أحكم بينكم ؟ أتحسبوننى قديرا على حلّ الألغاز ؟ أم تظنون أن فى مقدورى استنطاق الخاتم الحقيقى من بين الثلاثة ؟!.

وأطرق القاضى قليلا ثم رفع رأسه فجأة وقال :

– لكن اسمعوا . ألم يقل قائل إن الخاتم الحقيقى له فعل سحرى يكفل لمن حمله رضا الله والناس ؟ ها هنا مفتاح القضية ، فالخواتم الكاذبة لن يكون لها مثل هذا الأثر . فمن منكم قد امتاز عن الآخرين برضا الله والناس ؟! هلموا . تكلموا ... انطقوا ...

ما بالكم قد خرستم ! يظهر أنكم أنتم الثلاثة خادعون مخدوعون ، وأن خواتمكم الثلاثة كلها زائفة . وأن الخاتم الحقيق قد فقد . فاذا أردتم منى نصيحة أسديها إليكم بدل الحكم بينكم ، فانى أقول لكم : « خذوا الأمور على وضعها القائم ، وليعتقد كل منكم أن خاتمه هو الصحيح ، وليجهد فى إظهار فعله السحرى . وذلك لن يكون إلاّ بالعمل على إرضاء الله والناس . فاذا مضى كل منكم فى هذا السبيل ونافس كل منكم الآخر فى اكتساب رضا الله والناس ، بالخلق الطيب والعدالة السامية والنزاهة الطاهرة والمحبة الفياضة والتسامح الكريم والسلوك القويم والأعمال الصالحة التى تغمر الناس أجمعين بالخير العميم ، إذا فعل كل منكم هذا وغرس بذوره فى نفوس تابعيه وذويه ، وشعر أن

خاتمه قد أحدث الأثر المسحور ، فليتقدم إلى هذه المحكمة فان كنت بعد على قيد الحياة حكمت وإلا وجدتم غيرى فى مكانى أكثر منى حكمة وأغزر علماً يتولى النطق بالحكم . . . »

فرغت من قراءة هذه الأسطورة وأنا أقول فى نفسى : ما أعمقها حكمة توضع تحت أنظار أحزاب متطاحنة . وما أحوج الأمم إلى قاض يسدى مثل هذه النصيحة لحماة مثل هذه الخواتم ، ويعلن اليهم فى صراحة أن اتهامات التزييف التى يلقى بها أحدهم فى وجه الآخرين هى لغو من الكلام . فكل خاتم يحمل جوهره الحقيقى السحرى فى العمل الذى يرضى الله والناس . ها هنا ميدان التنافس الحقيقى الذى ينبغى أن تعرض نتائجه على محكمة الرأى العام .

شهرزاد و مونمارتر

— أنت تعرف عادتي ورغبتي يا جان : حساء البصل « سوب ألونيون » ونبيذاً أبيض !

— وقلماً وورقاً ؟

— القلم والورق معي .

فأحضر الساقي خرقة جعل يمسح بها خواناً أمامي من الخشب ، نقش عليه بمطواة بعض العابثين

صورة امرأة عارية تتمطى كعاريات « موديجلياني » ثم نظر إلىّ وابتسم :

– أما زلت تكتب الشعر على طريقة ماكس جاكوب ؟!

قالها فى صوت غامض غريب . فصحت به للفور :

– قلت لك يا جان ذاك عهد مضى . عهد مونبارناس وقهوة « الدوم » . أما الآن وأنا أختم عام ١٩٢٥ فى مونمارتر فانا إنسان آخر أصنع شيئاً آخر .

– تضع «شهرزاد» . هل فرغت منها ؟

– أوشكت أن أنتهى من طور التفكير . ولا ينقصنى للبدء فى التنفيذ غير موسيق من طراز

« سترافنسكى » . لقد عرفت هنا موسيقياً مجرباً من نوعه . وأنضر قلباً منه . قد ينفعنى . لكن المعضلة ليست هنا . . .

وأمسكت عن الكلام . إذ مثل لفكرى فجأة ختام « شهرزاد » الذى حرت فى تصوره منذ أيام . ورأى جان شرود ذهنى فانصرف عنى تأدباً وتناول قبعتى « الفنية » السوداء ومعطفى الطويل الأسود يقطران بماء المطر فعلقهما على مشجب بجوار النار وعاد يقول :

— أتعرف جورج أوريك ؟ كان يجلس إلى هذا الخوان . أما الآن فهو موسيقى معروف . أنت كذلك من يدرى مصيرك غداً ؟ .

فضحكت على الرغم منى :

— أشكرك يا جان . مصيرى مظلم . لو عرفت الحقيقة . حتى مونمارتر بكل أسرارها وسحرها لم تستطع شيئاً معى . إنها جعلتنى أفكر وأبحث كما ترى . لكن ما النتيجة ؟ إن جورج أوريك قد وصل لأنه بنى على ماض قريب . أما أنا فليس لى ماض قريب . أمامى أن أنفذ إذن إلى ذلك الماضى السحيق الذى كادت تدرس معالمه تحت رمال الزمن . . .

فهز جان رأسه . ثم رفع يده إلى لفافة تبغ يحملها فوق أذنه اليسرى فأشعلها وطفق يدخن . ثم تناول مكنسة وأخذ يكنس القهوة استقبالا للصباح الذى يبزغ عما قليل . ولم يكن بالمكان وقتئذ غيرى وغير رجلين من اللصوص أو الطغام أو الفنانين العظام ! ! ! كانا واقفين أمام « بار » الزنك

يشربان قهوة سوداء ويأكلان خبزاً صغيراً . وفى أحد الاركان امرأة من مومسات الحى أو بنات الهوى المتجولات المختلفات إلى ذلك المكان ممن كنت أسميهن « قطط المحل » ... جالسة فى هيئة من الكلال وسوء الحال تستثير الاشفاق . وهى بين آن وآن تتأمل وجهها الباهت تحت الطلاء فى مرآة بالحائط كتب عليها بحروف من الجير : « قهوة سيرانو » .

أقبل جان بالحساء والنبيذ فلم أتحرك ولم أكف عن التأمل . فنظر إلىّ الخادم قليلا ثم قال :

– أرى الوحى لا ينزل عليك إلا آخر الليل !

– صدقت يا جان . هو لا ينزل إلا بنزول عربات الرش تدوى بها الشوارع الهادئة وأصوات

قطرات الخضر المبكرة توقظ مخلوقات الله الوادعة !

فضحك الرجل . وطويت ورقى والقيت بقلمى ودسست ملعقتى فى الحساء ورفعتها وقد علقت بها خيوط الجبن الممزوج بالبصل والتهمت ثم التفت إلى الخادم :

— أتدرى أين كنت الليلة يا جان ؟

فأجاب جان من فوره فى صوت العارف الواثق :

— فى حانة « الأرنب الخفيف »

— كلا . بل كنت هنا . . .

وأشرت إلى مقصف « الفأر الميت » على مقربة من القهوة . ذلك المرقص المشهور الكثير النفقة . فبدا الخبث فى عينى جان وشفتيه وقال فى صوت المرتاب :

— وأين لك بالنقود ؟

— سبحان الله يا جان ! أين لى بالنقود ؟ من تحسبنى أيها المخلوق ؟!

فضحك جان وقال :

— أحسبك رجل فن . وبين الفن والمال عداوة قديمة !

فأطرقت فى إذعان وتسليم وقلت فى تنهد :

— هـذا صحيح . ومتى تزول هـذه العداوة القديمة يا جان ؟ ومتى تعقد الهدنة على الأقل ؟ إن المال حلو يا جان . إن النقود جميلة . إن مظاهر الغنى والبذخ والانفاق والسعة هناك فى « الفـأر الميت » لشىء يجدد الحياة ويطيل العمر ! نعم . كنت هناك الليلة . اطمئن يا جان : أصـدقاء موسرون هم الذين

تفضلوا بدعوتى فلبيت مرغماً . وتكلفوا من أجلى خمسمائة من الفرنكات ثمن زجاجتين من الشمبانيا الفاخرة . ولا يغيب عن فطنتك يا جان ان هذا مكان يؤمه أهل الطبقة العليا . فلا ترى حولك إلا أردية السهرة وأقمصة منشاة وأربطة للعنق بيضاء . ولكنى أخذت على غرة فلم أستعد للسهرة ودخلت على أولئك القوم وأنا على ما ترى من هيئة «نظيفة» ! ! دون أن أحلق ذقنى على الأقل ... ودون أن أنظم حتى شعرى المبعثر الأشعث فى سبيل «أپولون» !!

فنظر إلىّ الخادم من رأسى إلى أخمص قدمىّ متفحصاً ثم ابتسم لمنظرى وقال :

— وأى بأس ؟ أنت من فصيلة الشعراء !..

— ماذا تقول ؟

– مباح لكم كل شيء !

– آه لهـــذه الحرية التي يحسدوننا عليها !

ما قيمتها بغير نقود !

لن أنسى مظاهر النعمة التى رأيتها هناك . لن أنسى أنى جلست كما ترانى الآن بين القوم الأغنياء وأجلسنا معنا غانيتين « پول دى لوكس » لم تر عينى أجمل منهما صنعاً ! صنعتهما أيدى حلاقين مهرة فجرة ! أجل يا جان . صدقنى ! أى تماثيل حية ! أين فيدياس وپراكسيتيل يشاهدان اليوم أعاجيب صالونات الزينة ومعاهد الحسن ! لم تعد المرأة وحياً وإلهاما للخلق الفنى . ولكنها أصبحت هى نفسها قطعة فنية وخلقاً فنيا . وأصبح الوحى والالهام لصنعها الصور والتماثيل ! وهكذا ثملت قليلا فيما يبدو لى من الشراب اللذيذ او

من الحسن الكثير فلم أنتبه إلا وأنا بين ذراعى حسناء أرقص معها على أنغام الجاز رقصة « البلوز » ـ كما قيل لى ـ بين رهط من الراقصين الحاذقين ٠٠٠ وانا لا أعرف الرقص ما هو ٠٠٠ وما أحببت يوما أن اعرفه ٠ وحانت منى التفاتة إلى مرآة الحائط فاذا على رأسى طرطور احمر مذهب الحواشى . وإذا أنا ملتف فى حبال من ورق « السربانتان » . فسرت فى جسدى رعدة واستدرت حولى فاذا الجميع مثلى صغيرهم وكبيرهم قدلبسوا الطراطير والقلانس والتيجان من الورق المقوى مختلف الألوان واختلطوا فى رقص متلاطم عربيد كرقص عباد « ديونيزوس » اجل يا جان . كانت ليلة بديعة . انك لا تتصور كيف يمكن للانسان أن يستمتع بالعيش هنا فى مونمارتر .

وعلى مقربة منك ! إن هذا « الفأر الميت » لمفعم بالحياة !

صمت جان لحظة . ثم رفع رأسه وهزه ثم قال :

– كلا . كلا يا مسيو « الحكيم » . كلا . حيـــاتنا نحن فى الركن الحقير . فهوة « سيرانو » وامثالها وحانات « القط الأسود » و « الأرنب الخفيف» و «ارستيد برويان» و «الجنة» و «الجحيم» ... الخ ... تلك مونمارتر الحقيقية أما «الفأر الميت» واشباهه فصايد لاقتناص المال من جيوب الثراة .

تفكرت قليلا فى كلامه فوجدته الصواب فصحت :

– برافو يا جان . مرحى والف مرة مرحى . هذا كلام عميق ما تقوله الآن . هذا حق . أتعلم

لماذا تركت أنا مونبارناس وجئت أعيش فى مونمارتر ؟
أحسست بما تقول أنت الآن : إن روح التجارة
وقنص المال تكاد تعم مونبارناس الذى ينافس حينا
هذا حتى ليكاد يقتله . شعرت أن مونبارناس ليس
إلا حى السائحين من جميع الأجناس . وحيث يظهر
السائحون يظهر البذخ والكذب والادعاء . نعوت
ثلاثة يهرب منها الفن هرباً . وأحسست من ساعتى
ان مونمارتر فى انحائها السافلة الفقيرة ما تزال مرتع
الفن الخصيب والفكر الحر . نعم . لكم تنتعش
نفسى إذ اجوس خلال هـــذه الجهة : شارع
« روششوار » ... شارع « بلانش » ... ميدان
« ترتر » . تلك المناطق المتواضعة التى خلدها موريس
اوتريللو فى صوره ولوحاته ...

فقال خادم القهوة سريعاً فى اعجاب يلمع فى عينيه :

— اوتريللو ؟ لقد اتى هنا ايضاً وجلس فى هذا الركن وسمعت حديثه . . .

— فى هذه القهوة . واى غرابة ؟ . . . انه لا يستطيع رغم شهرته الآن ان يسلو حياة التشرد فى مونمارتر . ولا يريد أن يهجر هذا الحى الذى نشأ فيه . ما أجمل هذا الاخلاص ! إنه ولا ريب المحب الامين الذى لم تبرد عاطفته نحو مونمارتر ! لدىّ بعض صور منقولة عن لوحاته . لكن لست أنظر فيها الآن كثيراً . إنى أدّخرها للغد يوم لا أجد عزاء غير الصور . أما الآن فان مونمارتر تحتوينى بذاتها وحقيقتها ، وتهمس فى نفسى بكل شعرها وبكل

موسيقاها الداخلية التى لن يخفت لها صدى ما دمت أعيش .

وسكت قليلا إذ بدا علىّ شىء من التأثر .

فسألنى جان :

– أتنوى أن تعيش هنا طويلا ؟

– يا ليت ...

قلتها من كل قلبى وأنا أرى شبح المصير الذى ينتظرنى .

– أسكت يا جان ! لا تذكرنى بالغد . انى الآن أعيش . حسبى هذا . أعيش فى مونمارتر . فردوس الفن ... الذى سأفقده يوماً . سوف أذكره مع الحسرات . وأذكر حياتى الشاردة بين قهوة سيرانو وحانة « الأرنب الخميف » . وسوف تتمثل

لى كل لحظة تلك الحانة المظلمة بنورها الضئيل وروادها الجالسين إلى براميل انقلبت موائد ينظرون الى رسوم على الحيطان وتماثيل كلها ذوق فى التصور ولذع فى الفكاهة وغرابة فى الأداء ، وينصتون الى اغانى القرون القديمة وقد بعثت فى ثوب جديد من مغنين وشعراء حديثين موهوبين . ويشربون «البورتو» ممزوجاً بالكرز ، ويضحكون من نكات الساقين الظرفاء مثلك يا جان . تلك النكات الرشيقة المبطنة بحسن الذوق وعلو الكعب فى التخيل والشعر . حانة ساقوها وخدامها شعراء ومغنون . أليس منهم نبغ « كاركو » و « دورجليس » ؟ ! كما نبغت « إيفيت جيلبير » من قبل ؟

— أتذهب إلى تلك الحانة كل ليلة ؟

ـ أكثر الليالى عند ما كنت اقطن بجوارها .
أما الآن فانى اقطن فى ناحية اخرى من الحى . شأنى
فى كل شهر . ما احلى التنقل والحرية يا جان ! مسكنى
اليوم فى شارع « روششوار » . حجرة تحت سقف
منزل يحتوينى انا وشرذمة من المصورين «الكوبست»
وافتح نافذتى فأرى قبة كنيسة « ساكريه كور »
البيضاء فى متناول يدى كأنها بيضة صورتها ريشة
« جيورجيو دى شيريكو » . شىء واحد يزعجنى فى
حجرتى الجديدة : المطر الذى يتسلل من خلال
السقف فأتقيه باناء اضعه فى الفراش على رأسى طول
الليل ! نعم يا جان . تلك حياتنا كما تقول . لكنى
احبها مع ذلك ولا اريد سواها . وارى الجمال فيها
اينما حللت . حتى مقبرة مونمارتر كنت أراها من

نافذة حجرتى السابقة ، قائمة فيها اشجار الكستناء وقد تدثرت بالجليد ايام «النويل» فكأنها ملائكة بيضاء . ما أبدعه منظراً يا جان ! لو شاهدته عيناك . . .

فرفع الخادم رأسه ثم قال :

– حقاً منظر جميل ! ما للشعراء دائماً من بضاعة غير الجمال ! ألديك سيجارة على الأقل يا مسيو «حكيم» ؟

– ولا كبريت يا مسيو جان . مع الأسف . انسيت انى لا ادخن ؟

ـ حقيقة . حقيقة انت لا تدخن قط مع الأسف الشديد !

– خمسة اشياء لم افعلها قط فى حياتى : شرب الدخان . ولبس القفاز . وحمل الساعة . وركوب

الدراجة . والعوم !

فضحك الخادم ضحكة كبيرة . وكنت قد مسحت إناء الحساء مسحاً . ومحوت وجود النبيذ محواً . فحمل جان الكوب والاناء وابتعد . واردت ان اعود الى ورقى فاذا الساعة تدق منتصف السادسة واذا النهار يطلع ، وشاهدت من خلال زجاج الباب بعض العمال والعاملات فى الطريق زرافات ووحدانا تمشى مسرعة الى الترام والمترو ، وفى ايدى الجميع صحف الصباح . فطلبت الى جان قبعتى ومعطفى فاحضرهما وهو يقول :

– لماذا تنصرف مبكراً الليلة ؟

– مبكراً ؟

– انك لم تكتب حرفاً .

— لقد أدركنا الصباح يا جان . و «شهرزاد» تسكت عن الكلام والالهام اذا ادركها الصباح .

فابتسم جان وتأمل لحظة ثم قال :

— انها كمونمارتر .

فحملقت فى وجهه بعينى دهشاً . ولكنه استطرد يقول :

— مونمارتر كذلك تسكت عن الكلام والالهام اذا أدركها الصباح !

فألقيت بقبعتى على الخوان متحمساً وصحت به :

— جان ! واحد من أمرين : إما أنك ذكى الفؤاد . وإما أنك شاعر بالسليقة . سم نفسك ما شئت . إنما أنت الآن تقول قولا صادقاً جميلا بدون أن تشعر : إن مونمارتر هى شهرزاد . وإنى

ـ لو عرفت الحقيقة ـ ما قطنت هـذا الحى عبثاً .

ولسوف تقرأ « شهرزادى » وتتعرف فيها ملامح مونمارتر . إن « شهر زاد » فى نظرى لم تكن يوماً قصـة الخيـال والبـذخ والخرافة كما فهمها الشـاعر « كاتول منديس » فى قصيـدته . . . والموسيقى « رمسكى كورسـا كوف » فى قطعته السانفونيـة لكنها عندى قصة الفكرة والحقيقة العليـا . قصة الروح التى خرجت من المـادة . كذلك مونمـارتر التى اشتهرت بلهوها وانغماسها فى بؤرة المادة ... أى روح تخرج منها كل يوم فيـاضة بالخلق والابداع !

مونمارتر هى تلك المرأة اللعوب ذات الروح العميقة هى غانية تنام النهـار وتسهر الليل تكشف لعشاقها محاسن الحياة وأسرار الحياة . هى أيضاً كشهر زاد

تعمر الليل بأقاصيصها وحكاياتها عن الحب والفن حتى
الصباح ، فتسكت عن الكلام المباح وغير المباح !
ولكن شهر زاد قالت ما عندها فى ألف ليلة وليلة ،
ثم سكتت سكتة الأبد لأن زوجها وعشيقها شهريار
كان قد أصغى اليها وانبهر مما سمع فزالت عن عينيه
غشاوة الماضى ، وأبصر ما فى الحياة وما بعد الحياة
من معان وأسرار ، وأدرك أنه قبل أن يعرف
شهر زاد ما كان إلا طفلا يلهو ويعبث كل ليلة بزوجة
يقتلها فى الصباح . فاذا هو مع شهر زاد يرى فى
الحياة أشياء أخرى غير مجرد اللهو والعبث . إن
شهر زاد مربية شهريار ومثقفته فى «ألف ليلة وليلة»
قد صنعت منه رجلا . ثم صيرته بعد ذلك شيئا آخر
غير الرجل : ما بعد الرجل . . مونمارتر كذلك

تدخلها طفلا يلهو فتصير رجلا يشعر ويحس ثم تتركها مخلوقا يتأمل ويفكر ... اى تأمل واى تفكير ؟ شهرزاد قامت بمهمتها فى الف ليلة وليلة . أما مونمارتر فتقوم بمهمتها فى كل ليلة منذ مئات الأعوام .. لا مع رجل واحد . لكن مع رجال كثيرين . لا مع كل انسان . لكن مع الانسان الذى يصغى اليها ويجاس بين يديها ويعرف لغتها ويفهم عنها وينفذ إلى روحها السحيق من خلال ظاهرها اللاهى الماجن المبتذل الخفيف . نعم يا جان . بل إنى اريد ان اقول اكثر من هذا . اريد ان اقول ان مونمارتر ليست قط تلك المرأة الفاجرة التى توحى باللذة السافلة . كلاّ . إنها فى اعماق نفسها امرأة لا توحى بغير الطهارة الكاملة . أقسم لك يا جان انى فى حياتى ما أحسست الطهارة

العليا الكاملة إلا فى هذا الحى الخليع ! اتصدق هذا ؟ أتعرف السبب ؟ السبب بسيط : الحرية . تلك الحرية المطلقة فى إتيان أية رذيلة بدون خشية قيد او تحريم . هذه الاباحة للرذيلة زهدتنى فى الرذيلة نفسها . إن الانسان بطبعه يطلب الممنوع عنه المحرم عليه ويزهد فى المباح . ان الملك شهريار الذى استمتع طول حياته السابقة بالنساء وباللذة الجسدية كاد يقتله الملل فصار يقتل كل امرأة بعد ليلة واحدة . حتى جاءته شهرزاد فكشفت له عن اللذة الروحية فاذا هو ينقلب انسانا يعشق كل ما هو روح ويمقت كل ما هو مادة . وإذا هو يصيح كلما عرضت له المادة : « شبعت من الاجساد . . شبعت من الاجساد ! ». هذه الصيحة انطلقت من فمى يوماً . . كما انطلقت

من فم كل فنان فى مونمارتر . ارأيت كيف ان مونمارتر هى فى حقيقتها مملكة الروح لا مملكة المادة ! اكثر من هذا ايضاً يا جان : مونمارتر هى النافذة المفتوحة على بيداء الفكر المهلكة . هى المحطة التى يبدأ منها كل فنان اومفكر رحلته المخيفة فى طريق البحث عن الحقيقة العظمى : علمته مونمارتر التفكير فاتجه اليه هازئاً بالعاطفة غير حافل باعباء السفر حتى يظفر بالمجهول . ألا تذكر : بيكاسو . جان كوكتو . إيريك ساتى . زادكين . . الخ . أسماء فى التصوير والشعر والموسيقى والنحت ذهبت مغامرة فى تلك البيداء .. لا يعلم أحد أتعود أم لا تعود . كذلك شهر زاد أوحت لزوجها بجمال الفكر فخلع عنه العاطفة وانطلق يهيم فى تلك الصحراء خلف سراب العقل والفكر ...

لا يعلم أحد أيعود هو أيضاً أم لا يعود . كل هـذا وشهرزاد باقية كمونمارتر ترمق محبها القادم والراحل بتلك النظرة الهادئة العميقة ، وتلك الابتسامة التى لا يدرك لها كنه …

وصمت قليلا ، ورفعت عينى الى جان فاذا هو واقف بغير حراك يصغى وكأنه فى حلم . ودخل القهوة رهط من العمال والعاملات يطلب كل قدحاً من القهوة وخبزاً صغيراً . فانتبه الخادم وانصرف اليهم . مسرعا . ولبست أنا قبعتى ووضعت معطفى فوق منكبى … وتوجهت الى حجرتى … اسدل سجفها حتى لا يزعجنى الضوء … واملأ زجاجة الماء الساخن اضعها تحت قدمى خوف البرد ، وانام حتى «مطلع» الليل . شأن الفنانين عشاق مونمارتر المدلاين … الخاضعين لهذا الشعار : «حياة الليل وموت النهار» .

مصير الانسان

قرأت البارحة ، تحت مصباحى الأخضر ، فى كتاب حديث ظهر هذا الشهر « لموريس مترلنك » هذه العبارة :

« سوف تأتى على الانسان لحظة يأبى فيها الحياة ، ما لم يكر عائداً إلى « الحيوانية » !

فذكرت من الفور الملك شهريار فى قصتى «شهرزاد». إن

هذا الانسان قد حاول عبثاً أن يتذوق الحياة فى آخر أيامه ، فلقد بلغ من التجرد الفكرى وقتئذ مبلغاً باعد بينه وبين البشرية ، هذا الرجل كان قد مر بكل الأطوار التى تعرفها الحياة الانسانية ، فقد عاش حياة الحيوان يوم كانت تقدم له فى كل ليلة عذراء يفتك بها فى الصباح . وعاش حيـــاة القلب يوم عرف « شهرزاد » فأحب جوارها ، ونسى القتل والفتك ، وجلس إليها ينظر فى عينيها ويصغى إلى قصصها . ثم عاش حياة العقل يوم أيقظ فكره حديث شهرزاد واتسعت أمام بصيرته آفاق عوالم ليس لهـا حدود ، فنهض على قدميه ، وانطلق يهيم فى أجواء الفكر العليا . وفتنه حب المجهول واستكشاف المستور ، ولم يسعفه العلم فلجـأ إلى السحر ، ولم يطفىء غلتـه

السحر فعاد إلى الفكر ، وضاقت به الأرض ، فتطلع إلى السماء . ولكن السماء لا يرقى إليها البشر ؛ وهو لا يريد العودة إلى الأرض . تلك الأرض التى سئمها وعاف ثمارها المادية والروحية ، واستنفد لذائذها السفلية والعلوية . لقد فرغ من كل شىء ، وشبع من كل شىء ، ولم يعد على هذه الأرض شىء يغريه بالبقاء إلا أن يعرف. إنه يريد أن يعرف. يعرف ماذا ؟ يعرف ما لم يسمح لآدمى أن ينفذ إليه ، تلك لذته الوحيدة التى بقيت له ، وذلك هو خيط الأمل الذى يربطه بالحياة ، ولقد أصابه فى ذلك ما يشبه الخبل . فهو يمضى الليل يتطلع إلى نجوم السماء كأنه يسألها أن تجيب عن أسئلة فكره الحائر . وتعب الفكر واضطرب فى بناء جسمه الكليل . وأيقن أن الجسم

هو الوتد الذى يعقل روحه ويلصق فكره بالأرض . فثار على الجسم ، وأراد أن يتحرر من سجنه . وسجن الجسم هو «المكان» كما أن سجن الماء هو «الوعاء» . فرأى أن يفر من جدرانه بالسفر والرحيل . فطوف فى البلاد والقفار حتى وجد نفسه آخر الأمر يعود إلى حيث بدأ المطاف ، وأدرك أن ليس فى السفر سوى تغيير إناء بعد إناء ، ومتى كان فى تغيير الاناء تحرير الماء ؟ فألقى بنفسه بعدئذ فى خان أبى ميسور ، طالباً الهرب من الجسم والمكان فى غيبوبة القنب والدخان ...

فى أثناء هذا كله كانت شهرزاد ترقبه فى عطف ويأس . وعلمت أنه إنسان هالك . فهو قد ترك الأرض ولم يبلغ السماء . فهو معلق بين الأرض

والسماء ينخر فيه القلق . وجعلت تحتال فى علاج الداء . أما السماء فمن الجنون أن يفكر إنسان فى بلوغها وهو إنسان . فلا مناص إذاً من إعادة شهريار إلى الأرض إذا أريد له الحياة . فلجأت إلى « العبد » كى يعينها على إيقاظ « الحيوان » المحتضر فى أعماق شهريار ، ولكن التجربة لم تنجح فكان على شهريار أن يختفى من مسرح الوجود ...

من الغريب أنى منذ كتبت هذه القصة ، وقد مضى الآن على وضعها نحو خمسة عشر عاماً ، وأنا أفكر فى إرجاع هذا الملك التعس فى قصة أردت أن أسميها « عودة شهريار » . غير أنى وجدت أمر عودته عسيراً ، إن لم يكن مستحيلا . فهو لن يعود بالطبع كما ذهب . إذ لا فائدة عندئذ من القصة الجديدة .

فلا بد إذاً من أن يعود شخصاً آخر . وهنا الصعوبة
ما الذى سيعيد هذا الرجل ؟ إنه كان قد ذهب فى
تلك اللحظة التى ينبغى أن تقف عندها كل حياة
بشرية . إن شهرزاد نفسها لم تستطع شيئاً . فهل
أستطيع أنا ؟ إنها قد رأت ما به ، وأدركت أنه
شعرة بيضاء قد نزعت ، وأنه ككل شىء فى هذا
الوجود قد دار وصار إلى نهاية دورة . فاذا عاد فانما
يعود من أول الحلقة : مولوداً جديداً يمر بطور
الحيوانية من جديد ...

هل فهم أدباؤنا المعاصرون

حقيقة رسالتهم ؟ ؟

قبل كل شيء ما هى رسالة الأديب ؟

أهى تقف عند حد إخراج كتاب جميل ، أو إنشاء مقال طريف ، أم أن لها هدفاً أبعد من هذا ؟

للاجابة عن هذا السؤال ينبغى أن نذكر أن هنالك قيما معنوية تقوم عليها كل حياة بشرية عليا .

تلك هى التى نسميها : «الحرية» ، «الفكر» ، «العدالة» ، «الحق» ، «الجمال» .

هذه القيم لا بد أن يكفل حمايتها فى كل مجتمع راق هيئة من الرجال الأقوياء .

من هم هؤلاء الرجال المنوط بهم حراسة هذه القيم ؟ أهم رجال دولة رسميون ؟ هذا مستحيل . فان للدولة ومصالحها السياسية اعتبارات قد تصادم هذه القيم . وما زال التاريخ الحديث يذكرنا بمثل «أميل زولا» فى وقفته الخالدة لنصرة «العدالة» ضد عدوان حكومة قوية الشوكة ، وطغيان دولة مرهوبة السلطان .

كلا . إن هذه القيم العليا لا يمكن أن يؤتمن عليها غير رجال الفكر الأحرار وحدهم ، هم الذين كانوا

ويكونون سدنتها فى كل زمان ومكان .

وهنا خطر رجال الأدب والفكر .

***

فى أوربا يفهم الأدباء حق الفهم هذه الرسالة . فتراهم كلما هبت ريح الخطر على إحدى هذه القيم يهبون متساندين يعقدون الاجتماعات ، ويصدرون البيانات ، على النحو الذى لا نألفه فى مصر والشرق إلا فى الشؤون السياسية . تلك الشؤون التى تعد صبيانية إلى جانب شؤون الفكر الخالدة . فان إصدار بيان سياسى أمر لا يعنى غالباً غير اللحظة والمناسبة التى صدر فيها . أما إصدار بيان فكرى لحماية إحدى القيم المعنوية العليا فهو أمر يعنى تاريخ البشرية جمعاء .

لذلك يملأ نفسى العزاء الجميل ويهزنى الفخر

العظيم إذ أرى أدباء أوربا اجتمعوا ويجتمعون من آن لآن يتباحثون فى « مستقبل الفكر فى أوربا » وهو محفوف بأخطار الحروب البربرية التى لن تبقى أثراً لدار كتب ولا لمتحف فن ولا لمعهد علم .

هنالك فى مثل هذه الاجتماعات نجد كل أديب قد تجرد من رداء جنسيته الزائل ، ليدخل معبد الفكر الخالد ويتكلم باسم تلك الهيئة الواحدة المتحدة التى تعيش للدفاع عن قيم البشرية العليا .

هنالك نجد الجميع على اختلاف أممهم ، الانجليزى بجانب الفرنسى والأمريكى والروسى والألمانى . يتكلمون لغة واحدة هى لغة الفكر الأسمى . ونراهم قد خلفوا وراء ظهورهم مصالح بلادهم السياسية ومبادئها الدنيوية لينظروا فى مبادىء الفكر وحدها

ومصلحة الانسانية فى مجموعها .

من أراد أن يدخل على قلبه السلوى والعزاء كما فعلت ، ويحس أن للبشرية المتحضرة حراساً عظاما ، فليقرأ الخطب التى ألقـــاها فى اجتماع « مستقبل الروح الأوربى » كل من : ڤاليرى ، وهكسلى ، وكيسرلنج ، وتوماس مان ، وطاغور ، وسنكلر لويس وغيرهم ممن فهموا رسالة الفكر على أنبل نحو وأرفع وضع .

* * *

على أن هنالك أيضاً فى داخل كل أمة وقفات يقفها رجال الأدب فى كل ظرف يهدد الحياة الأدبية أو الفكرية ، ولو من بعيد وعن غير قصد . فنهوض الهيئات الأدبية لحماية حرية الفكر أو القلم أمر يشاهد فى كل يوم . إنما الجميل أن يعنى رجال الأدب

أيضاً بمسائل أقل من هذا خطراً ! من ذلك قيام الأديب الفرنسى چورج دوهامل ومعه غيره من الأدباء يتدبرون الخطر الذى يهدد «الكتب» الأدبية على أثر انصراف الناس إلى سخف السينما والراديو والمجلات المبتذلة .

وقد رأوا فى ذلك كارثة سوف تحيق لا بالأدب وحده ، بل بجيل أو أجيال كاملة سوف تشب على غذاء روحى فاسد أو ناقص ، مما يترتب عليه انحطاط الذوق العام ، والسير بالبشرية القهقرى .

ومن ذلك أيضاً قيام هؤلاء الأدباء يطالبون الحكومة باستثناء صناعة طبع ونشر الكتب من الضرائب التى فرضتها وزارة « بلوم » على كافة الصانعين والمنتجين . وقد آزرهم يومئذ فى ذلك وزير

معارف بلادهم ونجحوا أخيراً فى حماية الكتب وصناعة التـــأليف من سيطرة القوانين الضارة بنموها وذيوعها .

***

إذا مضيت فى سرد الأمثـلة على تيقظ أدباء أوربا وفهمهم رسـالتهم فانى لن أفرغ . وكلنا يقرأ ذلك فى صحفهم كل يوم . إنما المسـألة التى أحب أن أضعها الآن موضع البحث هى : مدى فهمنـا نحن هذه الرسالة !! إنى لن أتهم بالمبـالغة إذا قلت إن أغلب أدبائنا يفهم رسالة الأديب على أرخص أوضاعها وأبخس نواحيها . فهم الأديب عندنا أن يخرج كتابا يبيع منـه عدداً من النسـخ أو يكتب مقـالا يقبض ثمنه مبلغاً زهيداً من المال . ثم ينام بعد ذلك قرير

العين . فهو وصانع « القلل » الفخار سيان . كلاهما لا يرى أنه يحقق فكرة سامية على الأرض أكثر من صنع « شيء » يباع في السوق ويقوم بأوده يوما أو يومين .

وكلاهما لا تنظر عيناه إلى أبعد من حانوته الصغير وبضاعته القليلة . فاذا حاق بحانوت جاره شر أو ضرر أو عدوان قد يفرح ، وقد لا يفرح ولا يحزن ، ولكنه على كل الأحوال لن يحرك ساكنا ، فالأمر لا يعنيه ولا يعني حانوته هو .

نعم . لدينا أيضاً أخطار تهدد تلك القيم العليا في صميمها ، ولكن ما من أحد يتحرك لذلك . فاذا تحرك واحد سكت الباقون وتركوه يناضل وحده ، حتى يضعف ويقنط وتخور قواه . وماذا يعنيهم هم

من ذلك ، إنهم لا يفرقون بين النضـال الشخصى والنضال العام فى سبيل فكرة أو مبدأ . وإن استطاعوا التفريق ، لم يستطيعوا التجرد من منافعهم الفردية ومصالحهم الشخصية . فهذا أديب موظف يخشى على وظيفته ، وهذا أديب من حزب سياسى يخشى أن يتورط فى النضـال من أجل فكرة يرى فيها سمواً ، ولكنه أيضاً يرى فيهـا إحراجا لحزبه . ومتى تعارضت المصلحتان ، فمصلحة الحزب تقـدم عنده على مصلحة الفكر . أما الصحف الأدبية فشأنها أعجب من ذلك ، فهى لم تعرف بعد كيف تنهج نهج الصحف السياسية فى تحمسها لمبدأ معين . فالصحيفة السياسية عندنا قد أدركت منذ زمن أن واجبها يقضى عليها بالدفاع عن عقيدة سياسية . فهى تخلق

من أجلها وتعيش بها وتهمل كل ماخرج عن نطاقها .
أما الصحيفة الأدبية عندنا فلا تجعل من شأنها الدفاع عن العقيدة الأدبية وما يتبعها من تقديس الرأى والذود عن حريته . إنما هى صفحات تضم جملة مقالات أدبية فى مواضيع شتى لا غاية لها سوى تزويد القارىء بشىء من المعلومات الطريفة . مجلاتنا الأدبية هى الأخرى حوانيت صغيرة فيها ألف صنف وصنف لتسلية الجمهور تسلية شريفة . ولكنها لم ترتفع بعد إلى حيث تكون صاحبة لسان حال ينطق باسم العقيدة الفكرية فى الظروف الخطيرة والمناسبات العصيبة ، فيحدث قولها هزات قوية فى طبقات المجتمع المستنيرة ، ويسمع لصرير أقلامها دوى فى أزمات الفكر كأنه قصف المدافع ! على

النقيض . قد تظهر فى أفق الفكر أزمة فكرية فتتحدث عنها الصحف اليومية وتسكت صحف الأدب ، إما لأن الأمر لا يعنى حانوتها ، وإما لأنها تؤثر لنفسها الأمن والعافية . وهى فى كلتا الحالتين غير مؤمنة بأن لها رسالة فى مثل هذه الشؤون .

***

أمام كل هذا وقف الأدب ذليلا لا حول له ولا طول ، وضاعت هيبة الأدباء فى الدولة والمجتمع . وأنكر الناس ورجال الحكم على الأديب استحقاقه للتقدير الرسمى والاحترام العام . فالعمدة البسيط تعترف به الدولة ، وتدعوه رسمياً إلى الحفلات باعتباره عمدة . أما الأديب فمهما شهره أدبه فهو مجهول فى نظر الرجال الرسميين ، ولن يخاطبوه على أنه أديب .

ومتى كان هذا شأن حراس « القيم العليا » فى أمة ، أدركنا مبلغ هوان هذه القيم نفسها على هذه الأمة . «فالحرية» و «العدالة» و «الفكر» و «الحق» و «الجمال» كلمات نسمع لها رنيناً فى البلاد الأوربية المتحضرة غير الرنين الذى نسمعه لها فى بلدنا المسكين (إن وجد لها عندنا أى رنين !) على أنه لا عجب . فكيف نريد أن يكون الأمر غير ذلك وحماة هذه القيم أنفسهم لا يعتقدون أنهم حماتها ؟ إنهم أدباء ما زالوا فى أول أطوار الأدب . ذلك الطور الابتدائى الذى أستطيع أن أسميه : «الصناعة اليدوية» للأدب .

هل تنقص المرأة

بعض المواهب الفنية ؟

أردت أن أطالع كتابا للروائية « بيرل باك » ، التى نالت هذا العام جائزة نوبل للآداب ، فما كدت أذكر أنى أقرأ لامرأة ، حتى استوقفت ذهنى حقيقة وضعتنى موضع المتأمل : تلك الحقيقة هى أنى لم أقرأ بعد حتى اليوم شيئاً لامرأة . كيف وقع لى ذلك ؟

وكيف لم ألتفت إلى هـذه الثغرة فى مطالعاتى قبـل الآن ؟ وما تلك اليد التى وضعت على عينى فلم أر أدب المرأة كما رأيت أدب الرجل ؟

من الاسراف فى القول أن أزعم أنى لم أقرأ فى الصغر شعر الخنساء ، أو لم أعجب بعنـان جارية النـاطفى ، كما أنى معترف بأن مكتبتى لا تخلو من مؤلفات شهيرات النساء فى أزهى العصور . غير أن الذى استطيع ان افضى به دون أن أكذب ، هو أنى لم افتح هذه المؤلفات ، ولم أكن يوما من قراء كاتبة من الـكاتبات . لا ينبغى أن يفهم من هذا أنى أهمل شأن المرأة عن عمد ، أو أنى أنكر عليهـا الموهبة والنبوغ . الأمر على النقيض . فأنا أقف من نفسى موقف المعاتب المعنف ، لا موقف القانع

الراضى . ولقد اعتدت فى كل شؤونى الفكرية أن أترك القياد لنفسى ولغريزتى الفنية : فهى التى تختار لى ما ينبغى أن أقرأ ، وهى التى ترشدنى إلى ما يصلح غذاء لى . وإنى لأمر بواجهات المكتبات فى اليوم مرات منذ سنوات طويلة ، فأرى كل ما يعرض يعجبنى ، ويلذ لى النظر إلى الكتب لمجرد النظر ، واتأملها كما تتأمل المرأة الثياب الزاهية فى الحوانيت .

ولو انى تركت الأمر لرغبتى ولذتى لاقتنيت حتى اليوم من الكتب ما يملأ قاعات ، ولكنى مع ذلك أقل الكتاب شراء للكتب . فأنا لا أشترى إلا لأقرأ . ولا اقرأ إلا ما أحس بغريزتى الفنية أنه يحدث فى مجرى تفكيرى أثراً . ولقد هدتنى نفسى حتى اليوم فأحسنت هدايتى . ولقد راجعت

اختيارها لى فألفيته فى الحق أحكم اختيار . فما بالها إذن قد صدفت عن مؤلفات النساء ؟

كان هذا موضوع تساؤلى الليلة . وهبطت إلى أعماق نفسى ، فاستكشفت الجواب : إن ميولى الفنية قامت منذ الصغر على عمادين : النزعة الفاسفية والتركيز فى الأداء . لهذا اتجهت مطالعاتى إلى نوعين من الكتب : المؤلفات الجافة التى تتصل مباشرة بالفلسفة أو العلم ، أو المحتوية على مادة فكرية خالصة . ثم القصص التمثيلى ، وهو المظهر الوحيد من مظاهر الأدب الانشائى الذى وجدته مبنياً على «التركيز» فى الأداء . هذان النوعان بالذات لم أجد للمرأة فيهما أثراً بارزاً أو غير بارز . فليس للمرأة منذ أن ظهر لها إنتاج فى تراث الفكر البشرى

مؤلف واحد فى مسائل الفلسفة أو شؤون الفكر العويصة . وليس للمرأة حتى اليوم قصة تمثيلية واحدة اتخذت لها مكاناً فى تاريخ الأدب التمثيلي الخالد . تلك ظاهرة عجيبة فى طبيعة المرأة ! إن المرأة منذ فجر التاريخ حتى اليوم قد برهنت على ذكاء عظيم ، ودقة إحساس تستثير الاعجاب . ولقد ظهرت فى ميادين النشاط الفكرى شاعرة فياضة بالوحى الالآهى وناثرة قديرة علي إيقاظ أنبل عواطفنا الانسانية . ولقد استطاعت أن تكون ملكة وحاكمة وقائدة جيوش وسياسية محنكة وصانعة تماثيل ومصورة ومغنية وراقصة وعازفة . كل شىء قد برزت فيه ، وساوت فيه الرجل ، وفاقته أحياناً ، وتركت للناس فيه أحدوثة باقيـــة وذكراً خالداً . نعم ، كل شىء

استطاعته المرأة خلا شيئين : أن تكون «فيلسوفة» وأن تكون « مؤلفة قصص تمثيلي » .

لماذا ؟ لماذا وقفت عبقريتها عاجزة أمام هذين « النوعين » ؟

أترى «التفكير» و «التركيز» صفتين ناقصتين عند المرأة ؟

لا أحب أن أقطع بذلك . ولكني أريد أن أقول إن « الشعور » و « التحليل » هما الدعامة التي شيدت عليها المرأة كل آثارها الخالدة في تاريخ الآداب والفنون . فمن شاعرات العرب والاسلام وسافو ، إلى مدام دى ستال وجورج ساند وجورج إليوت ، إلى كوليت ومارى وب وكاترين مانسفيلد وسجريت أندست . كلهن قد ارتفعن متألقات في

سماء الفن على أجنحة «العاطفة» الرقيقة . وكاهن قد أظهرن من البراعة فى «التحليل» ما قصر عن إدراكه كثير من نوابغ أهل الفن من الرجال . و «التحليل» هو الملكة التى لا بد منها لكل كاتب يعالج « الرواية الخالصة » . فهذا النوع من الأدب إنما يقوم على النفوذ الدقيق إلى نفوس الناس وضمائر الأشخاص ، مع التفات خاص إلى كل ما يحيط بحياتهم من أشياء ، ومع عناية كبرى بذكر التفاصيل التى تخفى على العين العابرة ، والاسهاب فى تحليل المشاعر المستقرة فى نفس الكاتب كلما سمحت بذلك ظروف الموضوع . وهنا مجال التفوق يتسع للمرأة . وهنا استطاعت بالفعل أن تظهر من طول الباع وقوة الجلد على تحليل التفاصيل ما أثبت لنقاد الأدب من الرجال أن

« الرواية الخالصة » نوع توشك المرأة أن ترفع عليه علم السيادة . ولقد قرأت ذات مرة كلمة دهشة لناقد قرأ رواية لكاتبة انجليزية ذكر عنها بعض تلك الصفات التى تميز المرأة فى كتابة القصة ، فتأملت يومئذ أنا أيضاً الأمر وقلت لنفسى : « لا عجب ! إن المرأة تمسك « بالقلم » لتصنع قصة كما تمسك « بالابرة » لتصنع ثوبا من « التريكو » . وإن هذا الجلد من ذاك . وإن « القصة » النسوية بما فيها من تفاصيل دقيقة لشئون الحياة اليومية ، ومن إسهاب وإحصاء لتفاهات الحوادث المنزلية ، ومن وصف وتحليل لأبسط الاحساسات الداخلية ، ومن بسط وتجميل لكافة المشاعر الانسانية . كل هذا ليس فى حقيقة الأمر سوى نوع « من شغل الابرة » !

***

هذا فى الأدب . أما فى الوان الفن الأخرى . فالمرأة كذلك قد تخلفت كلما تطلب الفن ملكة «التركيز». والتركيز هو الصفة اللازمة «للبناء» . والبناء عمل يحتاج إلى شىء من التفكير . بل إلى شىء من الذهن الرياضى . فهو ليس مثل «التحليل» مجرد سرد للتفاصيل وطرح للعناصر . إنما هو اختيار ذهنى لخير التفاصيل وأصلح العناصر لتشييد جسم قائم له فى ذاته حياة ، وله جمال ، وتنبعث من مجموعه فكرة .

لهذا لم تستطع المرأة أن تكون «مهندسة» فى فن العمارة . ولم نجد لها ذكراً بين أولئك العباقرة من الرجال الذين شيدوا الهياكل فى الزمن القديم ، ولا بين هؤلاء الذين يقيمون الآثار الجميلة فى الزمن الحديث .

***

فن الموسيقى ايضاً تقف امامه المرأة هذا الموقف الغريب . فهى عازفة بارعة ومغنية حاذقة . لأن « شعورها » العميق يعينها على أداء الألحان خير أداء . ولكنها لم تستطع حتى اليوم أن تكون هى «واضعة الألحان» . لم يشهد تاريخ الموسيقى « امرأة ملحنة» وضعت «قطعة سانفونية» أو تركت «أوبرا موسيقية » لها ذكر بين الآثار الموسيقية المعروفة فى التراث القديم أو الحديث . لماذا ؟ لأن وضع « قطعة موسيقية او سانفونية » هو أيضاً « بناء وتشييد » مثل بناء معبد او بناء قصة تمثيلية .

***

أحسبنى قد وضحت لنفسى وللناس سر صدوف عن ادب المرأة . هنالك مع ذلك شىء آخر ، قد

يكون سببا لما تقدم أو نتيجة له ، لست أدرى على وجه التحقيق . هذا الشيء هو : انى اكره فى غالب الأحيان قراءة القصة المروية . نعم ، لا مناص لى من الاعتراف بهذا الأمر المخجل . ليس لى صبر ولا جلد على مطالعة قصة خالصة ، وقد حرمت بذلك الاطلاع على كثير من أروع آثار الأدب الحديث . ومن بينها بالضرورة أدب المرأة ، وهو كله قصص خالص .

* * *

كل شيء إذاً قد باعد بيني وبين المرأة فى مجال الخلق والفن . فأنا أحب الفلسفة . والقصص التمثيلى وفن العمارة . والموسيقى السانفونية .

اعمدة اربعة من عمد «البناء» الذهنى يقوم عليها عالم فنى عظيم ، لم تأذن الطبيعة للمرأة فى أن تساهم فى رفعه بنصيب .

أثر المرأة

فى أدبائنا المعاصرين

إن كل ما يعنينى اليوم من امر ادبائنا المعاصرين هو ذلك الجانب المجهول المستور الذى لا يحبون ان يكشفوا عنه للناس . إن ادباءنا يعلمون — بحكم ثقافتهم واطلاعهم فى تاريخ حياة العظماء — ان المرأة كانت فى اكثر الأحوال ذات أثر بارز ، لا فى تلوين

حياتهم وحدها ، بل فى توجيه اعمالهم وتصريف اقدارهم ؛ فهنالك ملكة سبأ فى حياة سليمان ، وكليوباترا عند قيصر وانطوان ، وجوزفين مع نابليون ، وهنرييت فى عمل رينان ، وملتون وابنته ، وكارل ماركس وزوجته ، وابراهام لنكولن وقرينته . بل عندنا خديجة والنبي محمد ومؤازرتها إياه فى مبدأ جهاده ، ثم اثر بقية النساء فى حياته ، فلولا هن ما نزلت بعض آيات القرآن . ذاك اثر المرأة فى الأنبياء والعظماء . اما اثرها فى الشعراء والأدباء ، ورجال الفن والفكر ، فهو يكاد يعد فى حكم الناموس ؛ فما من شاعر او اديب او فنان عاش كل حياته وانتج كل عمله ، بعيداً عن امرأة او شبح امرأة او ذكرى امرأة . إن عبارة «فتش عن المرأة»

يفبغى أن ترسخ فى ذهن كل مؤرخ يتصدى لدرس شاعر أو أديب أو فنان . « فتش عن المرأة » عند أهل الفكر والفن . فتأثيرها فيهم شديد . إن وجدت فى حياتهم وإن لم توجد . وهنا قوتها . فهى تؤثر بوجودها واختفائها . وهذا ما حدث بالفعل ، ويحدث كل يوم فى تلك الكتب التى تظهر بين آن وآن . حاوية لتراجم هؤلاء الرجال ، باحثة ظروف تآليفهم ومؤثرات أعمالهم .

ترى هل فى مقدور مؤرخ أن يدرس أثر المرأة فى أدبائنا المعاصرين ؟

آه . الويل للمؤرخ الذى يفعل ذلك ! إنه لن يستطيع فى سهولة أن ينفذ إلى حياة أدبائنا الخاصة . فهم ما زالوا فى حالة « حجاب » ، وقد وضعوا على

منابع وحيهم ومصادر مشاعرهم الخلاقة ، نقاباً كثيفاً كنقاب المرأة المصرية قبل السفور . إنهم ما زالوا يحمرّون حياء دونه حياء العذارى كلما لمس أحد الباحثين ذلك النقاب الذى يخفى عواطفهم الدفينة ، أو ذكرى خفقات قلوبهم القديمة . ولم يؤمنوا بعد بأن طبيعة عملهم تقتضيهم أن يصدقوا الناس والتاريخ عما فى نفوسهم من مشاعر خفية . فما الفنان إلا رجل عرض قلبه ونفسه للتشريح العام أمام البشرية والزمن .

فنحن إذن فى موقف غريب : إن سفور المرأة فى مصر قد سبق سفور الأديب . من أجل هذا نرى أن جانباً كبيراً من أدبنا الحديث ما زال أدباً « حبيساً » تفوح منه رائحة الحجرة المغلقة . أدب صناعة ، وأدب « علب محفوظة » من التعبيرات المستعارة

والأساليب والدراسات المستخرجة من خزائن الأقدمين . أما أدب الهواء الطلق ، أدب التعبير عما فى أعماق النفس فى حرية وأمانة وإخلاص ، أدب الحياة النابضة بتفاصيل المشاعر الآدمية . هذا الأدب الخارج من القلب ليخاطب كل قلب على وجه البسيطة . هذا الأدب العالمى الذى يؤثر فى نفس كل أمة وكل جنس وكل آدمى ، لأنه نبع صافياً خالصاً حاراً من قلب آدمى . هذا الأدب حظنا منه قليل ، لأن حظنا من الصراحة والصدق قليل .

* * *

ومع ذلك فان هذا القليل يكفينا فى الوقت الحاضر ، على شرط أن نتعهده بالعناية وحسن

الالتفات . إن من بين أدبائنا المعاصرين من خرج سافراً من الحجرة المغلقة ، ليكشف للناس عن بعض مشاعره الخاصة فى شجاعة وصراحة . فهذا « طه حسين » قد أعلن للناس فى كتابه « قصص تمثيلى » ذلك الاهداء الجميل : « إلى زوجى التى جعل الله لى منها نورا بعد ظلمة وأنسا بعد وحشة ونعمة بعد بؤس أرفع هذا الكتاب » . ثم تلك الصفحة الرائعة التى صدر بها كتابه « مع المتنبى » :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ... » صدق الله أيتها الزوج الكريمة وتمت كلمته ، ففى ظل هذه المودة درست هذا الشاعر العظيم ، وفى ذرى هذه الرحمة

أمليت هذه الفصول . وإن قلبي ليملؤه البر ، ويغمره الحنان حين أذكر ما كنت تبدئين وتعيدين فيه ، أثناء ذلك من حث لى على الراحة ، ورغبة إلىّ فى التروض ، وإلحاح علىّ فى الاستمتاع بنعيم الحياة ، وجمال الطبيعة فى جبال الألب ، وما كنت ألقى به عطفك من إباء وإعراض ، وما كان يثور فى نفسك من غضب مصدره الرحمة والاشفاق . وانى لأعلم أنى كنت فى ذلك قاسياً جافياً ، ولكنى أعلم أنى مدين لهذه الجفوة ، وتلك القسوة بهذا الكتاب . فأذنى لى فى أن أقدمه إليك ، لعله ينسيك من ذلك ما لا تزالين تذكرين » .

هذه حالة ظاهرة لعين الباحث . ولكن هنالك حالات مستورة لم ينوه عنها أصحابها إلا تلميحاً ،

فعلينا إذن أن نستخرج مكنونها من بين السطور .
فذلك «هيكل» فى قصته «زينب» قد وصف امرأة لكنه لم يخبرنا أهى امرأة حقيقية رآها فى الواقع يوما فألهمته هذه القصة . أم أن الأمر كله من صنع الخيال ؟ على أن «هيكل» فيما أذكر قد تحدث فى موضوع آخر عن سيدة أوربية قابلها فى بعض أسفاره بالخارج . حدثته كثيراً وحدثها فى شئون الأدب ، فما غادرته حتى استقر فى نفسه العزم على كتابة القصة . إنه إذن قد لقى فى حياته هو أيضاً امرأة أثرت فى عمله ووجهته بعض التوجيه .

ثم يأتى «العقاد» بقصته «سارة» فيضع تحت أنظارنا صورة امرأة لا شك عندنا فى أنها حقيقية ، وأنه قد التقى بها وجها لوجه ، وأنه انتفع بها كثيرا

فى دراسته لتفاصيل خلق المرأة وطباعها. وأنها قد أثرت فى مجرى حياته بعض التأثير ، وعدلت أو أضافت الى علمه بالحياة الشىء الكثير. ووجه يقينى بكل هذا أن العقاد كاتب قليل الالتجاء إلى الخيال والاختراع. وهو على الرغم من ابتعاده عن الكلام فى شئون نفسه على نحو مباشر. فاننا نستطيع أن نعرف من مجرد مقال له ماذا أكل أمس وماذا شرب وماذا قرأ وماذا يحب من ألوان اللهو وماذا يستظرف من أنواع الحيوان.

ويجىء «المازنى». وهنا لا أجد أعسر على من البحث عن أثر امرأة بعينها فى حياته. إن المازنى كثير التصوير لنفسه ولحياته وبيته ، ومع ذلك فالويل لمن يؤرخ له. إن قدرة المازنى فى

العقاد

المازنى

الاختراع . واختلاط واقعه بخياله قد أسدل حجاباً كثيفاً على وجهه الحقيقى . فأنا فى الحقيقة عاجز عن أن استخلص من بين رواياته التى تعج بالنساء المدللات ، والأوانس الرشيقات ، امرأة واحدة استطيع ان اقول إنها كانت عنده صاحبة الشأن الأول . على أن الذى لا شك فيه عندى ولا نزاع أن هذه المرأة موجودة بالفعل ، ولولاها ما استطاع المازنى أن يكتب قصصا .

ثم يأتى « الزيات » وهو فى ادبنا اليوم ممثل الرومانتيكيين ومترجم اعلامهم . فاذا هو بالطبع صريح فى ذكر ماهمته . فقد قال فى كتابه : « وحى الرسالة » : « عرفت فى باريس عام ١٩٢٥ الآنسة فرناند ابنة احد القضاة فى محكمة ديجون .

كانت طالبة بالسنة الأخيرة من كلية الحقوق . وكان لها بالمستشرق المرحوم ب. كازانوفا استاذ الأدب العربى فى الكوليج دى فرانس صلة قرابة أو صداقة . فعرفنى اليها لتكون لى فى مدينة النور ما كانت « بياتركس » لدانتى فى جنة الفردوس ... أدينا الامتحان معاً . ثم أرسلت نفسى الحشيمة على هواها ومناها فزرنا معابد الطبيعة فى ڤنسين وسان كلو وفنتينبلو . وحججنا محاريب الفن فى اللوفر والأوبرا وفرساى . وكنت يومئذ أترجم « رفائيل » فكان ما أقرأ وما أكتب وما أسمع وما أرى نسقا عجيبا من الجمـــال والجلال والفن والشعر والحب والتأمل والاستغراق ، لا يدع للخيـال الوثاب مسبحا ولا للنفس الطماحة رغبة . ثم أحم الفراق . فرجعت إلى

مصر ولحقت هى بأهلها فى « رويان » . وكان بينى
وبينها رسائل مسكية المداد وردية الورق ، تؤلف
كتابا من شعر القلب والعقل . . . الخ »

وأخيرا «زكى مبارك» وقد كتب كتابا ضخما
عن «ليلى المريضة فى العراق» ، وفصولا طوالا عن
«مجنون سعاد» . وعلى الرغم من هذا المرض
والجنون اللذين دفعاه إلى وضع هذه المؤلفات . فانى
أشك كل الشك فى وجود «ليلى» و «سعاد» . إن
وجودهما فى حياته كوجود « دولسينيه »
فى حياة «دون كيشوت» ! وفى الحق أن بين
الشاعرين لشبها كبيرا : فكلاهما يحب امرأة
موهومة وينازل طواحين الهواء على انها الجبابرة !
وهو هنا خير مثال يعطى لما قدمت من أن مجرد

زد
مبارك

شبح المرأة يكفى لألهام الأديب .

***

هنـالك بعد ذلك حالة أخيرة لأدباء أثرت فى تكوين ثقافتهم نساء فضليات . ومع ذلك لم يجر على أقـلامهم وصف مسهب لامرأة . من بين هؤلاء « مصطفى عبد الرازق » . إنى موقن بأن هـذا القلم الذى يسيل أحيانا رقة وعذوبة لا يمكن أن ينبع وحيه من صحراء الـكتب الصفراء وحدها . ومن بين هؤلاء أيضاً « أحمد أمين » وقصته عجيبة ! فانى منذ وقت غير بعيد أتأمل أمره وأسأل نفسى : كيف استطاع هـذا الباحث الجاد فى تاريخ الأدب والمؤرخ الجاف للعقلية الاسلامية أن يكون أديبـاً تنم كتاباته أحيانًا عن فهم للقلب والعواطف ؟ وخامرنى شك فى طبيعة

المؤثرات التى طرأت على حياته الذهنية والنفسية . فتحريت منه ، فكشف الأمر لى عن حقيقة أدهشتنى ! نعم . هو أيضاً قد أثرت فى حياته امرأة ، استغفر الله ، بل امرأتان هما سيدتان انجليزيتان . لن أقص الظروف التى التقى فيها بهما . فالذى يعنينى هنا الآن النتائج التى خرج بها الأديب من هذا اللقاء . لقد أثرت إحداهما فى ذهنه وتفكيره بثقافتها الواسعة ، وأثرت الثانية فى قلبه ومشاعره بجمالها ونبلها . وغادرتاه منذ أمد بعد أن تركتا وصنعتا « عقلا وقلبا » يطلق عليهما اليوم اسم : « احمد امين » .

فأدباؤنا المعاصرون لم يشذوا إذن عن الناموس ، فهم أيضاً يدينون للمرأة بما دان به كل شاعر وفنان .

***

وبعد ، فأرجو ألا يدهش القارىء لصدور هذا الكلام ممن اعتاد الناس أن يسموه «عدو المرأة» . إن روح الانصاف فى دمى ، فقد نشأت فى بيئة القضاء ، وكنت أنا نفسى من رجال القضاء قبل أن أخصص حياتى نهائيا للقلم . على أنى أحب أن أسترعى النظر إلى ظاهرة جديرة بالتفكير . إن القارىء قد لحظ من غير شك أن المرأة التى اثرت فى عمل ادبائنا المعاصرين هى فى اغلب الأحوال امرأة اوربية : فرنسية او انجليزية او إسرائيلية أجنبية . ولعله يتساءل :

– أين المرأة المصرية ؟ أتراها مشغولة حتى الآن بصنع «التواليت» وقيادة السيارات ولعب

الورق فى الحفلات ، بدلا من صنع العقول ، وقيادة القلوب ، واللعب بمصائر الرجال وأقدار المشاهير ؟ ؟

إن روح الانصـاف تمنعنى من الاسراع بالجواب .

الواقع والخيال

في الفن

قرأت المقالات العدة التي نشرت أخيراً تعقيباً على ما جاء في الفصل السابق خاصا « بالعقاد » وقلة الألتجاء في «الفن» الى الخيال والاختراع . فلم أر بينها ما هو جدير بالالتفات غير رد العقاد نفسه ، فهو على عادته يعرف كيف يستخلص العام من الخاص ،

ويرتفع بالموضوع إلى قمم الفكر الخالص ، ويترك اللغو من الكلام ليثير القضايا الذهنية التى تمس جوهر الأدب والفن فى كل زمان . فقضية « الواقع والخيال » فى العمل الفنى من المسائل التى لن يفرغ فيها الحديث . فالقول بأن هذا الكاتب يعتمد على الواقع ، وأن ذاك يعتمد على الخيال ، ثم المفاضلة بينهما والموازنة بين الجهد الذى بذله كل منهما ... كل هذا يتكلم فيه الناس منذ أن وجد الفن ، وكل له رأيه .

ورأيى فى ذلك يشابه رأى العقاد ، لأن اعتماده على الواقع فى قصة « سارة » يشابه اعتمادى على الواقع فى « عودة الروح » أو فى « يوميات نائب فى الأرياف » . فلا ينتظر منى أنا إذن أن أنتقص من قيمة الأعمال التى تبنى على الواقع .

على أن الحقيقة هى أن العمل الفنى مخلوق جديد وكائن مستقل عن ذلك الواقع الذى يعيشه الفنان ويزعم أنه رواه بحذافيره . لأن العمل الفنى ليس مجرد المادة الأولية من الحوادث الداخلة فيه ، ولا هو ذلك اللحم والدم الذى يتكون منه جسمه . إن كان هذا هو كل شىء لاستطاع كل إنسان أن يكون فنانا ، ولكان فى مقدور أى فرد من البشر أعطى مقداراً من اللحم والدم أن يصنع مخلوقا حياً .

إنى أوافق العقاد على أن خلق العمل الفنى من الواقع أصعب ألف مرة من صنعه من الخيال . إن الرجل الذى يعيش حادثة ثم يستطيع أن يرويها رواية تحدث فى نفوس الناس عين الأثر الذى أحدثته فيه لهو أعظم فنان . كان «جوته» يقول إن أقدر كاتب

لا يرى مما يحيط به من مظاهر الحياة غير واحد فى المائة ، ولا يعى ويفهم مما رأى أكثر من واحد فى المائة ، ولا يستطيع أن ينقل إلى الناس مما وعى وفهم وأحس أكثر من واحد فى المائة .

نعم . وإنى لأطبق هذا القول على حالى فأرى أنى حقاً لم أستطع يوما أن أنقل إلى الناس غير أصغر صورة وأضعف إحساس لما علق برأسى من صور ، وما مر بنفسى من مشاعر تلك الأعوام التى قضيتها على هذه الأرض .

ولقد قرأت ذات مرة اسطورة قديمة تحكى أن رجلا ساحر الحديث ، كان يفتن اهل قريته كل مساء بروائع الروايات المختلقة ، عن مغامرات موهومة كان يزعم لهم انها وقعت له اثناء النهار . وكان يسوق

الحديث فى مهارة ويقص الحوادث فى لباقة ويسبغ على كل هذا التمويه اصباغا لها لون الحقيقة الواقعة فى سهولة ، إلى ان شاءت المصادفة ان تقع له ذات نهار حادثة حقيقيـة ومغامرة واقعيـة ؛ فذهب إلى اهل القرية فى ذلك المسـاء على عادته وأراد ان يتكلم وان يصف لهم ما حدث فلم يستطع ، وارتج عليه ووقع فى صمت مرذول واطرقوا هم فى اسف طويل !

والسبب فى ذلك بسيط : إن اختراع حادثة لم تحدث هو امر من صنع الانسان ، وعمل من اعمال المخيلة الآدمية ، قد يدل على قوتها ونموها لا أكثر ولا أقل . اما ان تقع حادثة من السماء صنعها الله فنحاول نحن بعد انقضائها أن نعيدها إلى الحيـاة وان ننفخ فيها من عندنا روحاً يقيمها من جديد

نابضة كما نزلت أول مرة ، فهو عمل عظيم ، لأن القدرة البشرية تحـــاول فيه ان ترتفع إلى الدنو من القدرة العلوية .

كل فن عظيم هو عملية إحياء . كل فن عظيم هو « بعث » . كل فن عظيم هو رد الروح إلى مشاعر غرستها السماء فى نفوسنا يوماً .

بغير هذا لعددنا روايات « روكامبول » (وهى مثل بارز لملكة الخيـال عند الانسان) فى مقدمة الأعمال الفنية الكبرى .

لا . إن الخيال فى العمل الفنى العظيم لا ينبغى ان يكون سوى وسيلة من وسـائل إعادة الروح إلى تلك المشاعر الحقيقية التى صنعها الله وكادت تجرفهـا اللحظات الجارية لولا يد الفنان .

إن الخيـــال عند الفنـان كقطع الجلد عند الاسكاف ، يرقع به فقط ثغرات الحقيقة الضائعة .

* * *

اخشى ان يساء فهم هذا الكلام ، وان يستنتج قارىء مما تقدم ان كل عمل الفنـان ينحصر فى تدوين الوقائع التى صادفته تدويناً أميناً .

كلا . إن الفنان ليس محرر تقارير . إنما هو مقرر عواطف ومشاعر ، وليست الأمانة المطلوبة منه هى فى نقل الحوادث والوقائع ، إنما هى فى نقل الاحساسات الدقيقة والمشـاعر الصـادقة إلى جميع النفوس . وهو بعد ذلك حر فى اختيار الوسـائل والوقائع والطرق والأساليب التى توصـله إلى هـذه الغـاية .

إن قصتى « شهر زاد » مقتبسة عن « ألف ليلة وليلة » فمنذا يقول إن حوادثها وقعت لى ؟ ومع ذلك فليست فيها عاطفة واحدة لم أحسها يوماً . . . أو لن أحسها يوماً .

***

هنالك مع ذلك أحوال يتقيد فيها الكاتب أو الروائى بالواقع تقيداً وثيقاً ويكاد عمله لا يخرج عن مجرد سرد حادثة سنحت له فى الحياة . فهل لنا عندئذ أن نجرد عمله من القيمة الفنية ؟ لا . إن السرد وعدمه لا شأن له فى الأمر . إنما المعول عليه فى الفن أن يستطيع الروائى ، وهو يسرد الحادث كما وقع ، كشف الستار قليلا عن تلك القوانين الخفية والحقائق الثابتة التى تحرك الأشياء والكائنات . وهنا الفرق

بين الصحفى والفنان . إن الصحفى يروى لك حادثا وقع فلا ترى فى الأمر غير مجرد الحادث . أما الفنان فيقص عين الحادث ، فاذا أنت قد غمرت فى جو آخر ، وإذا الحادث قد اتخذ وجها آخر ، وإذا الحادث قد انفرجت خلفه أشياء لم تكن بادية للعين العابرة . . .

إن يد الفنان كيد الساحر تلمس كرة البلور فتبقى كرة البلور كما هى ، ولكنك ترى فيها وتقرأ مناظر وأشياء لم تكن فيها من قبل . . .

تأملات

حول تشجيع الناشئين

لم أقرأ كتبا هذا الأسبوع . ولكنى قرأت طائفة من رسائل ومقالات وقطع أدبية ، بعث بها إلىّ أدباء مجهولون ، يطمع بعضهم فى النشر ، ولا يرجو البعض الآخر إلا أن أطالع ما سطر . فطالعت . وهذا واجب جديد ، أفرضه اليوم على

نفسي . فلقد رأيت عدداً كبيراً من الشباب يتجه إلى الأدب فى أمل ، عارضاً مواهبه على المشتغلين به ، كما تعرض على الصائغ الحلى والجواهر . فأيقنت أن عملى يجب أن يتسع مداه ، وأن حانوتى القديم لا ينبغى أن يقتصر على الصياغة والصناعة ، بل يتعداهما إلى السعى للاستكشاف فى البحار العميقة ، واستخراج اللآلىء المخبوءة ، وتعهدها بالصقل والتهذيب ، وعرضها على الناس لامعة براقة .

***

وفرغت من القراءة ، وقد طرحت أكثر ما ورد من مخطوطات ، مقتنعاً بأن من العبث أن يمضى أصحابها فى هذا الطريق ، إن سمة الأديب وصفة الكاتب لا تخفى على النظرة الخبيرة . هؤلاء

قد سقطوا من الحساب ، وخرجوا من موضوع الحديث . أما الذين أكرس من أجلهم هذا الفصل ، فهم أولئك القلائل الذين استرعوا التفاتى وانتزعوا إعجابى ، وأثبتوا لى أن الطبيعة قد ألقت فى نفوسهم البذرة ، وتحت يدى حتى الآن مخطوطاتهم أجيل فيها البصر ، وأنا مغتبط اغتباط الناظر إلى زهر البنفسج يتفتح رويداً رويداً فى مطلع الربيع .
أدهشنى من أحدهم حوار قصير يقطر ظرفاً ودعابة وخفة روح ، مع فهم غريزى لما ينبغى أن يكون عليه هذا اللون الأدبى من سرعة فى إدارة الحديث حتى لا يثقل ، وحسن اختيار فى الجواب حتى لا يقع فى اللغو ، وإلهام يشرق بالعبارات الموفقة بين سطر وسطر . كما أعجبنى من آخر عمل أدبى مزج

فيه الحوار بالقصة . وهو لا يملك ما عند صاحبه من
هبة اللباقة . غير أن عنده روحاً نزاعا إلى التفكير
الفلسفى يسوقه على نحو يترك فى النفس أثراً . ثم
قرأت لثالث أفكاراً تنم عن فهم واستفادة مما يطالع
وملاحظة لما يشاهد . ولكن ... لا شىء غير ذلك .
هنا ينبغى أن أبادر فأقول إن هؤلاء كلهم بالضرورة
لم يملكوا بعد الشىء الوحيد الذى يجعل الكاتب
كاتباً . إنى أستطيع أن أنشر لهم هذه الكتابات
الآن إذا أرادوا . لكن ... أبهذا يتم التشجيع
الواجب لهم ؟ أبالنشر المبكر والقطف قبل النضج
نسدى إلى زهر الربيع الخير ونبدى له التقدير ؟ ما
أكثر الناس الذين يحملون فى رؤوسهم أفكاراً
عظيمة ، وفى نفوسهم مشاعر قوية ، وفى أفواههم

دعابات ظريفة وكلمات طريفة ! غير أن كل هـذا لا يصنع كاتباً .

ما هو الكاتب إذاً ؟

هو الخلاق الذى ينفخ فى كل هذه الأفكار والمشاعر والكلمات ، فاذا هى قد استوت على أقدامها حية تسعى فى حياة مستقلة . هو الصناع الذى ينسج رداء رائعاً لشؤون الفكر ومخلوقات الأوهام ، فتبدو هذه المعنويات للناس فى شبه أجساد مادية لا تمحوها الأيام .

هو أخيراً صاحب الأسلوب . ولست أعنى بالأسلوب (اللغة المنمقة) إنما الأسلوب هو الطريقة التى يبتكرها الكاتب أو الفنـــان لاقتناص أدق المشاعر وأرفع الأفكار . الأسلوب هو وحده الذى

يشقى فى سبيله الكاتب والفنان طوال الأعوام . إن كل كلام قد قيل ، وكل عاطفة قد وصفت . وكل فكرة قد وضعت . ما بقى للفن جديد منذ غابر الأزمان . ومع ذلك فان الفن يولد من جديد فى كل زمان . لأن الفن ليس فى ذات الكلام أو الفكرة أو العاطفة ، إنما هو فى ألوان الأثواب التى ترتديها هذه الأشياء على مدى الأحقاب . إن الفن هو الأسلوب . والأسلوب هو الفنان . .

دعى مرة العازف الموسيقى « كريسلر » إلى سماع صبي قيل إنه نبغ فى العزف على « الكمنجة » نبوغا إلهيا يعد فى العجائب والخوارق . فأصغى « كريسلر » مليـاً إلى قطعة عميقة عسيرة من قطع « بيتهوفن » يؤديها هذا الصبى ، فما تمالك أن

صاح إعجابا :

– نعم ، إن هـذا الصبي قـد سما بي إلى قمم رفيعة من الاحساسات البشرية . وانه ليدهشني من صبي قليل التجارب في مسائل القلب والشعور ، أن يستطيع التعبير بهـذا العمق عن أدق خوالج القلب والنفس !

فسأله أحدهم :

– إذاً فهو موسيقي عظيم .

فأجاب كريسلر :

– لا .

– عجبا ! ماذا ينقصه ؟

فأجاب كريسلر في هدوء :

– الأسلوب .

كلمة لا تدهشني ولا تدهش كل من عرف «كريسلر» وأقرانه من الموسيقيين الناضجين ، وتتبع أساليب تفاسيرهم لمختلف الآثار الكبرى . إن عجائب الطبيعة وحدها لا تصنع الفنان . إنما الفنان عمل متصل وصبر طويل فى سبيل الوصول إلى الأسلوب . حقيقة أن الفنان هو شخص موهوب . ولكن هبة السماء هى مبدأ الطريق . لا بد للمغنى من صوت جميل ، ولكن الصوت الجميل وحده ليس هو المغنى .

***

لقد تبين لى إذاً أن هبة السماء لا تعوز أصحاب هذه المخطوطات التى استبقيتها ، ولقد تبين لى أيضاً أنهم لا يملكون غير هبة السماء ، وأنهم لم يبذلوا بعد

من الجهد فى سبيل هـذا الفن العسير غير ما طالعوه من شتات المؤلفات فى الأدب العربى الحديث .

وإنى لألمح أثر كتبى بالذات فى هذه المخطوطات ، فهل يبيح لى موقفهم هذا أن أعلن أنهم كتاب ؟ إن الانصاف يقتضينى أن أعترف بأن ما كتبوه لايقل شأنا عما ينشره كثير من الصحف والمجلات لكثير من حملة الأقلام . لكن المسألة عندى أجل من أن يقضى فيها بهذه السرعة ، والفن أقدس عندى من أن يستهان بشأنه . ينبغى أن أسائل نفسى أو أسأل هؤلاء الشبان هذا السؤال أولا :

— ما هى بغيتكم من كتابة ما كتبتم ؟ وما الدافع الذى حملكم على الامساك بالقلم ؟ أتريدون تكريس حياتكم للفن ؟ أم أنها هواية اللحظة ونزعة

من نزعات اللهو قد سنحت ؟

بل ينبغى أن أواجههم بذلك السؤال القاطع الذى ألقاه الشاعر « رينر ماريا ريلكه » على أحد تلاميذه فى رد على رسالة :.

« استيقظ فى هدوء الليل والناس نيام ، وكل شىء فى ضميرك ساكن ، وسل نفسك هذا السؤال : هل إذا حيل بينى وبين الكتابة أموت ؟ فاذا أجابتك نفسك أن : نعم ، فامض فى طريق الفن ولا تخش شيئاً » .

***

أنا أيضاً ألق على من بعث إلى بكتاباته هذا القول . فان كان الجواب :

— لا . أنا لن أموت . ولن أتخذ الفن هدفا

فى حياتى . إنما هو شىء جميل أود أن أحيط نفسى به . وهو حلية أحب أن أقتنيها ، وهو ملهاة لا بأس من النزوع إليها فى أوقات الضيق والفراغ . وإنى أردت أن تعيننى على نشر ما كتبت لأدخل السرور على نفسى .

عند ذاك أجيب :

— لك ما طلبت .

وأدفع للنشر بما بعث . وتنقطع بذلك الصلة بينى وبينه . فلا شأن له بى ، ولا بالفن إلا من حيث هو قارىء وهاو .

أما ذلك الذى يقول لى :

— نعم . إذا لم اتخذ الفن غاية فانى أموت .

فهذا أجيبه :

— ما دامت لك هبة السماء فانى أبذل لك دمى حتى تمنح هبة الفن .

* * *

ولكن شروطى ثقيلة . والوفاء بها عسير . ومن أراد أن يسير معى ، فليعلم أن الطريق شائك والأقدام عارية . وأن أول ما أحرمه عليه النشر قبل الأوان . والأوان هو مرور عشرة أعوام بالأقل علي اليوم الذى تظهر فيه الرغبة المحرقة فى النشر . إنه صيام كصيام فقراء الهنود . وصلاة فى معبد الفن طويلة ، قوامها التأمل والمطالعة ومشاهدة ما يزين جدران المعبد من آثار منظورة والاصغاء إلى ألحان الأرغن ، وهى تردد الآثار غير المنظورة ، وحرق البخور من مخطوطات لم تكتمل النضج وأوراق

سطرت فى الخفاء بغير رجاء .

* * *

ومع ذلك ... إن الشك يخامرنى : أترانى اقسو فى غير موضع القسوة . اترانا نغلو إذ نفرض على غيرنا ان يكابد مثل ما كابدنا ، وقد تغير الزمن وتبدلت الظروف ، وربما كابدنا نحن لنوفر على هؤلاء بعض العناء ، اين هو السبيل الحقيقى لتشجيع الناشئين ؟ اهو بأظهارهم قبل الاعداد ام بأعدادهم قبل الظهور ؟ ؟

من أدب الجاحظ

كنت اقرأ للجاحظ منذ أعوام فألفيت عنده كلاما كالحوار التمثيلي لم أر مثله فى الأغانى وقد بدالى ان انقل هذا الحوار على شكل « منظر صغير » دون تغيير فى الألفاظ والمعانى . انما سمحت لنفسى ببعض الحذف وبعض الملاءمة بين وضع الحوار الاصلى والوضع المسرحى بغير أن أمس جوهر الموضوع .

حتى يبقى الفضل للجاحظ وللأدب العربى . والحق انه حوار يذكر بألفريد دى موسيه فى « كوميدياته وأمثاله » . ولعل عناصر كل نوع من انواع الأدب والفكر موجودة عند العرب . لكنها مجرد عناصر . فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونفصلها ونبوّ بها ؟ لماذا لا نضع مثلا كل حوار من هذا الطراز فى الشكل التمثيلى على قدر المستطاع . ونجمعه على أنه نماذج تمثيلية من الأدب العربى او على انه إعادة الشباب إلى الأدب القديم بالباسه حلة جديدة دون تغيير للب ؟ اذا صح هذا فان مجال العمل فى الأدب العربى القديم متسع . ولن تفرغ منه اجيال قادمة برمتها . وهذا هو حوار الجاحظ :

الفراق

المنظر : باب دار كبيرة . جارية كأنها قضيب يتثنى ، وهى والهة حيرى واقفة فى الدهليز . وجائية تخطر فى مشيتها . يدنو منها شيخ ويسلم عليها فترد السلام بلسان منكسر وقلب حزين .

*
* *

الشيخ : يا سيدتى ! انى شيخ غريب اصابنى عطش ، فأمرى لى بشربة من ماء تؤجرى .

الجارية : إليك عنى يا شيخ ، فانى مشغولة عن سقى الماء وادخار الاجر !

الشيخ : يا سيدتى لأية علة ؟

الجارية : (بعد تردد) لأنى عاشقة من لا ينصفنى ، وأريد من لا يريدنى !

الشيخ : (يتأملها) يا سيدتى ، هل على بسيط الأرض من تريدينه ولا يريدك ؟!

الجارية : انه لعمرى على ذلك الفضل الذى ركب الله فيه من الجمال والدلال .

الشيخ : يا سيدتى ، فما وقوفك فى الدهليز ؟

الجارية : هو طريقه ، وهذا أوان اجتيازه .

الشيخ : يا سيدتى . هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الاوقات أم حب مستحدث ؟

الجارية : (تتنفس الصعداء وتسيل دموعها على خديها كطل على ورد وتنشىء تقول) :

وكنا كغصنى بانة وسط روضة
نشم جنا اللذات فى عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع
فيا من رأى فردا يحن الى فرد ؟

الشيخ : يا هذه ، ما بلغ من عشقك هذا الفتى ؟

الجارية : أرى الشمس على حائطه أحسن منها على حائط غيره ، وربما أراه بغتة فأبهت وتهرب الروح من جسدى ، وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل .

الشيخ : عزيز على ، وانت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى . ما أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة . فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء ؟ أراك كنت مفتنة فى أرض البصرة !

الجارية : كنت والله يا شيخ قبل محبتى لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال . ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتننى هذا الغلام .

الشيخ : يا هذه ، وما الذى فرق بينكما ؟

الجارية : نوائب الدهر وأوابد الحدثان . ولحديثى وحديثه شأن من الشان . وأنبئك أمرى : انى كنت اقتصدت فى بعض أيام النيروز ، فامرت فزين لى وله مجلس بأنواع الفرش وأوانى الذهب ، ونضـدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار . وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصـرة فيهن من الجوارى جارية «شهران» وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم ، وكانت الجارية قد ولعت بى ، وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتنى منهن . فلما حصلت عندى رمت بنفسها على تقطعنى عضـا وقرصا ... فبينا نحن كذلك إذ دخل على حبيبى . فلما نظر الينا اشمأز لذلك ، وصدف عنى وعنهـا صدوف

المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم ، وعض على أنامله وولى خارجا . فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته ، واستعطفه فلا ينظر الا بعين ، ولا يكتب إلى بحرف ، ولا يكلم لى رسولا .

الشيخ : يا هذه ، أفمن العرب هو أم من العجم ؟

الجارية : هو من جلة ملوك البصرة .

الشيخ : من أولاد نيابها أو من أولاد تجارها ؟

الجارية : من عظيم ملوكها .

الشيخ : أشيخ هو أم شاب ؟

الجارية : (تنظر اليه شزراً) : انك لأحمق . أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد ، وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة فى بياض . عطر اللباس ، ضارب بالسيف ، طاعن بالرمح ، لاعب بالنرد

والشطرنج ، ضارب بالعود والطنبور ، يغنى وينقر على أعدل وزن ، لا يعيبه شىء الا انحرافه عنى لا نقصاً لى منه بل حقداً لما رآنى عليه .

الشيخ : يا هذه ، وكيف صبرك عنه ؟

الجارية : (حالى معه كحال القائل) :

أما النهـــار فمستهام واله
وجفون عينى ساجفات تدمع
والليل قد أرعى النجوم مفكرا
حتى الصباح ومقلتى لا تهجع
كيف اصطبارى عن غزال شادن
فى لحظ عينيـه سهام تصرع

الشيخ : يا سيدتى ، ما اسمه وأين يكون ؟

الجارية : تصنع به ماذا ؟

الشيخ : أجهد فى لقائه وأتعرف الفضل بينكما فى الحال .

الجارية : على شريطة .

الشيخ : وما هى ؟

الجارية : تلقانا اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة .

الشيخ : لا أكره ذاك .

الجارية : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة . يكنى بابى شجاع ، وقصره فى المربد الاعلى . وهو اشهر من أن يخفى . (تصيح فى الدار :) يا جوارى دواة وقرطاساً . . .

الشيخ : يا سيدتى وجب حقك علىّ . ولزمتك حرمتى لطول وقوفى عليك ، وكنت قد سألت شربة ماء . . .

الجارية : استغفر الله ! ما فهمنا عنك . (تصيح في الدار) : أخرجوا الينا شرابا من ماء وغير ماء .

(تقبل وصيفتان تحملان الدواة والقرطاس فتشمر الجارية عن ساعدين كأنهما طومارا فضة ثم تحمل القلم وتكتب الرقعة . ثم تقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الكؤوس والجامات والاقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعا وشرابا ... فيشرب الشيخ . .)

الشيخ : يا سيدتي . مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري ، فلم لا تأمرين إحدى الجواري ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه . ؟ .

الجارية : لا تغلط يا شيخ !

الشيخ : (يفهم مرادها ويطرق خجلا من هفوته) !

انتهى المنظر . وكان فى مقدورى ان اجعل منه فصلا كبيراً . لكنى آثرت أن أبقيه على أصله . لأن المسألة عندى : هل نظهر العناصر مع بقائها على شكلها . أو نتصرف فيها ونستعملها كما نشاء ؟

فى جو الأدب العربى

القـــديم

كنت اعيش فى جو الأدب العربى القـديم ، يوم دعيت الى الاشـتراك فى الاحتفـال الذى اقامه الشعراء والأدباء المعاصرون بدار الأوبرا الملكية يوم ٢٤ يناير ١٩٣٨ ابتهاجا بالزفاف الملكى ولقد كان علىّ يومئذ ان اضع مسرحية صغيرة تجعل إطاراً لما

يلقى من شعر ونثر . فكتبت هذه القطعة :

مجـالى الشعر والأدب

فى عصر الرشيد

المنظر الأول

ترتفع الستـار الاولى عن هرون الرشيد فى بهوه . وهو جالس والى جانبه وزيره جعفر البرمكى . وعند أقدامه المنجم ابن نوبخت . والشمع يحدق به على قضب المناور . والخدم فوق فرشه وقوف .

الرشيد — (لمسرور الحاجب) من يحضـرك من شعراء الكوفة ؟

مسرور — مصعب والرقاشى وأبو نواس .

الرشيد — أدع لنا أبا نواس .

مسرور — (بالباب يهمس) أبا نواس ! انها ليلة

نثرت لك فيها السعادة الأرق بين أجفان أمير المؤمنين . ان يكتب الله لك الاحسان لديه ، تكن ليلة تعرس فى صباحها بالغنى .

ابونواس – (همسا) بشرك الله بالخير .

مسرور – (يوجه الشاعر إلى الرشيد هامسا فى أذنه) سلم .

ابونواس – السلام عليك يا أمير المؤمنين .

الرشيد – وعليك السلام .

ابونواس – (بعد لحظة تردد) يا أمير المؤمنين . نور كرمك وبهاء مجدك محيران لمن نظر إليهما . تسألنى فأجيب ، أم أبتدىء فأصيب بيمن أمير المؤمنين وفضله ؟

جعفر – (للرشيد همسا) والله يا أمير المؤمنين

انى لأرجو الليلة أن يكون ممتعا ..

الرشيد – أرجو . ادن يا أبا نواس ، اسمعنى .

ابونواس ـ (ينشد) :

والى أبى الأمناء هرون الذى

يحيا بصوب سمائه الانسان

ملك تصور فى القلوب مثاله

فكأنما لم يخل منه مكان

ما تنطوى عنه القلوب بفجرة

الا يكلمه بها اللحظان

فيظل لاستنبائه وكأنه

عين على ما غيب الكتمان

هرون ألفنا ائتلاف مودة

ماتت لها الأحقاد والأضغان

وأغر ينفرج الدجى عن وجهه

عدل السياسة حبه إيمان

الرشيد - (معجبا) لله در شعرائنا، ما احكم صناعتهم. مسرور!

مسرور — (بين يديه) لبيك مولاى.

الرشيد — أعطه ألف دينار.

ابونواس — (فى دهش وفرح) ألف دينار. انها لليلة السعد ورب الكعبة.

مسرور — (وهو يلقى اليه بكيس الدنانير يهمس) ألم أبشرك بالخير.

ابونواس — (عند أقدام الرشيد) مولاى. ليس بمستغرب أن يزدهر الشعر فى عصرك وأنت على هذا الجود. إنك لا تعطى شاعرا أنشد بضعة

أبيات . انما أنت تنثر الندى فى حديقة الشعر لتنبت أجمل الزهر . وستذهب الدنانير ويذهب الشاعر ولكن آثار يدك هى الباقية .

جعفر ـ (همسا) أحسنت يا أبا نواس .

ابو نواس ـ مولاى . انك تجزل فى العطاء للشعر لا للشاعر . وستذكرك الأيام ، ما بقى على الأيام شعر .

هرون ـ حسبى مدحا . حسبى .

ابو نواس ـ لقد أجزلت فى العطية فدعنى أجزل فى المدح .

الرشيد ـ أعطيك ذهبا فتعطينى كلاما .

ابو نواس ـ وأينا الرابح يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد ـ من ؟

ابو نواس ـ ذهبك هـذا سيذهب . أما كلامي فيك فباق .

الرشيد ـ صدقت . غير اني أعجب كيف أن حديقة الشعر المخلدة لا يرويها غير الذهب الذاهب .

ابو نواس ـ تلك حكمة المولى الخالد يا امير المؤمنين . إن البقاء ممتزج بالفناء كما تمتزج الروح بالجسد .

الرشيد ـ ما قولك يا جعفر . ان هؤلاء الشعراء يجدون دائما لكل مسألة جوابا .

جعفر ـ لاغرو يا امير المؤمنين . انهم هم البيان . وهم اللسان في كل دولة وكل زمان .

الرشيد ـ لسان يطول ويقصر كلما قصرت يد الملوك وطالت .

ابو نواس ـ (يهز كيس الدنانير) لسان هو فى عصرك الزاهر أطول ما يكون لسانا ..

الرشيد ـ أخبرنى يا أبا نواس . أحقا انكم معشر الشعراء والأدباء تمدحوننا طمعا فى المال والنوال ؟

ابو نواس ـ معاذ الله ! انما نمتدحكم لوجه الله !

الرشيد ـ فلو بخلنا وغللنا أيدينا . . . .

ابو نواس ـ (ينظر إلى الكيس) كلا بحقك لا تفعل يا أمير المؤمنين .

الرشيد ـ (باسما) أتقولون فينا مع ذلك عين القول ؟

ابو نواس ـ (يهز الكيس) لم هذه الأسئلة يا أمير المؤمنين . !

الرشيد ـ أجب .

ابو نواس ـ (ناظرا إلى الكيس) انك يا مولاى لتضعنى موضع الحرج ..

الرشيد ـ أرأيت كيف أن النوال هو الذى ..

ابو نواس ـ أجل يا مولاى . هو الذى . . . لكن ليس هو دائما الذى . . .

الرشيد ـ أوضح .

ابو نواس ـ انكم معشر الملوك تستثيرون فينا أحيانا بأعمالكم وشمائلكم جميل الثناء . فأنتم لنا أحيانا فى ذاتكم منبع وحى ، نستلهمكم على الرغم منا ونقول فيكم أجود الشعر دون أن ننتظر شكراً ولا أجراً .

الرشيد ـ وكيف لنا علم ذلك ؟

ابو نواس ـ يا مولاى ، الشعر الحق أبلج كالحق .

جعفر - (همسا) مرحى . مرحى .

الرشيد - أتصدق هذا الشاعر يا جعفر ؟

جعفر - ان الشعراء قد يكذبون يا أمير المؤمنين ، لكن الشعر . . .

الرشيد - ماذا ؟

جعفر - صدق الشعر دائما وان كذب الشعراء .

الرشيد - اى والله يا جعفر .

ابو نواس - أجل . دعكم منا يا أمير المؤمنين . فنحن فانون ، فينا ضعف الفانين . أما شعرنا . .

الرشيد - نعم ، نعم . لقد قلت كلمة يا أبا نواس أعطيك عليها ألف دينار أخرى . . .

ابو نواس - (يمد يده سريعا) أطال الله بقاء أمير المؤمنين . . . (ثم يستدرك فيسحب يده

ويسأل) أية كلمة يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد ـ (كالمتأمل الحالم) انى انما انثر الندى في حديقة الشعر . وسيذهب المال والشعراء . أما حديقة الشعر فباقية . لكنى أسائل نفسى :

«أحقا سوف تبقى حديقة شعرنا على الدهور ؟» من ذا يطالع لى الغيب فيخبرنى . . . (ينظر إلى منجمه تحت قدميه) أين منجمى ابن نوبخت ؟

المنجم ـ لبيك مولاى .

الرشيد ـ أأنت نائم .. آرق أنا وأنت تنام ؟

المنجم ـ بضاعتى الغيب يا أمير المؤمنين . والغيب نائم حتى توقظه الأيام .

الرشيد ـ ها أنذا أوقظك .

المنجم ـ وها أنذا أجيب .

الرشيد ـ خبرنى : هل هذا الشعر الزاهر فى عصرى سيبقى على الدهر أو أنه سيغور كالنجم الآفل فى كبد الأحقاب المظلمة ؟

المنجم ـ (يطرق مليا ثم يرفع بصره الى السماء لحظة ثم يقول) سيبقى .

الرشيد ـ سيبقى ؟

المنجم ـ (يتأمل السماء كمن يقرأ كتابا) انه حى .

الرشيد ـ أتراه ؟

المنجم ـ انه حى .

الرشيد ـ شعرنا ؟ . . . غرس ايدينا ؟ . .

ابو نواس ـ (يهز أكياس الذهب) أرأيت يا مولاى ، دنانيرك لم تضع هباء .

الرشيد ـ ماذا ترى ؟ خبرنا أيها المنجم ماذا ترى ؟

المنجم ـ أرى ... أرى شعراء فى زى غريب، ينشدون شعرا عربيا مبينا كأجود ما يكون الشعر فى عصرك الزاهر ...

جعفر ـ أيمكن أن يكون للشعر العربى دولة زاهرة كدولته فى عصر أمير المؤمنين ؟

المنجم ـ لقد غرسوا من غرسه وبنوا على أسسه .

ابو نواس ـ أو عندهم شعراء مثل أبى نواس ؟

المنجم ـ عندهم شعراء فحول وأدباء ذووا عقول .

الرشيد ـ فى أى مملكة يا ابن نوبخت ما ترى وفى أى أرض ؟

المنجم ـ يغلب على ظنى أنها أرض مصر .

الرشيد ـ (كالمخاطب لنفسه) أرض مصر ؟..

المنجم ـ انى أرى الأهرام وأبا الهول ...

الرشيد ـ أو ما زالت من أعمالنا ؟

المنجم ـ لست أراها من أعمال دولة من الدول. لكنها مملكة يحكمها ملك شاب من أهلها ، يتكلم العربية ويكتبها ويحبه الناس . واني أرى الليلة . .

الرشيد ـ ماذا ترى ؟

المنجم ـ (يطيل النظر الى الأفق) أرى جمعا حاشدا قام فيه أكابر شعرائهم وفطاحل أدبائهم يحتفلون بعرس مليكهم على فريدة من أهل البلاد لا أشك فى أنها فريدة عصرها .

الرشيد ـ وى وى . أكل هذا تراه الساعة ؟

المنجم ـ انى اقرأ الغيب كما يقرأ الناس الكتب .

الرشيد ـ وكيف نعرف أنك حقا ترى ما تقول .

ابو نواس ـ ان كان صادقا يا أمير المؤمنين فلينشد لنا بيتا واحدا من شعر هؤلاء الفحول الذين يراهم الآن في العرس .

الرشيد ـ نعم . أسمعنا يا ابن نوبخت شيئا من شعرهم ان كنت صادقا .

المنجم ـ انى أفعل أكثر من هذا يا مولاى ان اذنت لى ..

الرشيد ـ ماذا تفعل . ؟

المنجم ـ أريك ما أراه . وأرى كذلك إن اذنت لى هذا الشاعر المتشكك حتى يصدق وأرى كل من حضر مجلسك الساعة ..

الرشيد ـ (فى عجب يهتز فى مقعده) أو تفعل ؟

ابو نواس ـ ان فعل ، ورأيت شاعرا واحدا

من شعرائهم رأى العين وسمعت بيتا واحدا من شعرهم سمع الأذن فله ان أذنت يا أمير المؤمنين ألف دينار من مالى هذا رزقا حلالا .

الرشيد ـ لقد أذنت فافعل أيها المنجم .

المنجم ـ (يشير الى الستار الخلفى) انظر يا أمير المؤمنين الى هذا الستار وحدق فيه مليا . وأنتم أيها الحاضرون انظروا جميعا ، فانه سينفرج عن غيب بعيد بعيد . . . وسترون خلفه عالما سوف يأتى بعد قرون . . .

يرفع الستار الخلفى

عن المنظر الثانى

المنظر الثانى

يرفع الستار الخلق عن الشعراء والخطباء الذين سيلقون كلماتهم فى الاحتفال .

الرشيد ـ (فى همس) عجبا . عجبا . ما هؤلاء القوم . وما هذا الزى . أترى يا جعفر .؟ لا أحسبهم من الروم ولا من الفرنجة ولا من الهند ولا من السند . فانى لم أر مثل هـــذا الشىء الأحمر فوق رؤوس اناس من بقية الأمم والأجناس .

جعفر ـ (همسا . مأخوذا) نعم يا أمير المؤمنين . انه لعجب .

ابو نواس ـ (همسا لنفسه) أهؤلاء شعراؤهم وأدباؤهم . .

« كلمة وزير المعارف »
بهى الدين بركات باشا

الرشيد – (للمنجم بعدفراغ كلمة الوزير) كلام عربى جميل . من هذا يا ابن نوبخت ؟

المنجم – هذا وزير من وزرائهم .

جعفر – أو عندهم وزراء عديدون ؟

المنجم – عندهم لكل شأن من شئون الدولة وزير ، وهذا وزير مختص بشئون العلم والأدب والفن . . .

ابو نواس – أصبح للشعراء والأدباء وزير ! لا بأس . لا بأس . . .

(يتقدم «الجارم» ويلقى قصيدته)

الرشيد – (يصفق مع المصفقين) انه والله نظم جيد ، لم لا تصفق استحسانا يا أبا نواس ؟

ابو نواس – فليسمعنا شيئا فى الغزل .

جعفر — أو تحسبه واقفا ينشدنا نحن . ألا ترى الجمع الذي يصغى اليه ؟؟

ابو نواس — ترى سيأمرون له بكم دينار ؟

(يتقدم «العقاد» ويلقى كلمته)

الرشيد — [يصفق مع المصفقين] هـذا والله نثر صاف ! ما رأيك يا أبا نواس .؟

ابو نواس — رأيي أن هذا كاتب جبار [يشير بيده الى طوله] لو تركوه على عشرة رجال لأكلهم .

المنجم — ومع ذلك فهو ليس بجبار الصحة كما تظن . فهو ان جار يوما فى طعامه مرض ، وان خاص اليه هواء من ثقب الباب لزم الفراش . وان لم ينم عقب الغـداء تعسر الهضم وان نسى الدواء تعب الكبد . . .

ابو نواس – ترى الرجل الطويل تفر منه
وفى أثوابه حمل ضعيف .

(يتقدم «مطران» ويلقى قصيدته)

الرشيد – [يصفق] شعر رقيق .

ابو نواس – أرق من جسمه النحيل . هـذا الشاعر لو نفخ فيه نافخ لطار . أهو يأكل ويشرب مثل بقية الناس أم يصوم الليل والنهار .

المنجم – على النقيض . ما من وليمة الا وجدته فيها .

ابو نواس – لله فى خلقه شئون .

(يتقدم «أحمد أمين» ويلقى كلمته)

الرشيد – [يصفق] ذهن مشرق ، كاشراق الشمس فى ضحى النهار .

ابونواس ـ مثل هذا كثير فى «ضحى الاسلام» !

(يتقدم «الهراوى» ويلقى قصيدته)

الرشيد ـ (يصفق) ما قولك فى هـذا الشاعر الفحل ؟

ابونواس ـ (يتأمل جسمه) حقيقة فحل .

الرشيد ـ تعنى فى شعره . ؟

ابونواس ـ سبحان الله . وهل عنيت شيئاً آخر . اللهم ادرأ عنا الزلل وسلمنا من عثار اللسان .

(يتقدم «المازنى» ويلقى كلمته »

الرشيد ـ (يصفق) روح خفيف . لو كان فى عصـرى لأغريت به جارية ذات ظرف ودل ، ونظرت اليهما يتـداعبان ويتـلاعبان فتوقعـه هى فى شراك لحاظها . . .

ابونواس ـ ويوقعها هو فى «خيوط العنكبوت».

(يتقدم على محمود طه ويلقى قصيدته)

الرشيد ـ (يصفق) شعر رصين ممتلىء .

ابونواس ـ (يشير بيديه) لشاعر ممتلىء .

الرشيد ـ تعنى فى شعره .

ابونواس ـ المعنى فى بطن الشاعر .

(يتقدم «البشرى» ويلقى كلمته)

الرشيد ـ (يصفق) نثر جزل . يخيل الى أن هذا الكاتب قد اختطف من عصرنا اختطافا ليوضع بين هؤلاء الناس فى هذا الحفل .

ابونواس ـ هى الحقيقة يا مولاى . أنظر إلى هذا الشىء فوق رأسه . انه أقرب الى عمامتنا وهذه الثياب على بدنه أشبه بثيابنا . ما يمنعنا اذن من أن

نختطفه ونرده إلى عصرنا .. ان هو الا بضاعتنا ردت الينا .

المنجم ـ لقد فرغ الخطباء يا مولاى . وسينفض الحفل عما قليل .

الرشيد ـ اللهم انا قد رأينا الليلة عجبا . اللهم اشهد ان هذا العصر الذى نرى ، فيه من الشعراء والأدباء جهابذة وأعلاما لا يقلون فى المرتبة عن شعرائنا وأدبائنا .. وإن كره أبو نواس .. عجبا أين أبونواس ؟

المنجم ـ هرب الخبيث بالدنانير حتى لا يؤدى الىّ الرهان .

الرشيد ـ انى اؤديه عنه وأزيد عليه . (يصغى) ما هذه الأصوات ؟

المنجم — تلك أصوات الشعب ترتفع هاتفة بحياة مليكها المحبوب .

(يعلو الهتاف وينزل الستار)

التمثيل

ومسئولية الدولة والأدباء

أحقيقة تقع التبعة فى خلو آدابنا من التمثيل على عاتق الأدباء والدولة ؟ مسألة نظرت فيها عقب انتهائى من قراءة مقال للدكتور طه حسين عن الأدب العربى والتمثيل [1] . ومن الانصاف أن

(١) مقال ظهر فى مجلة «المصور» أول يونيو ١٩٣٤ .

أعترف أولا أنى فكرت فى هـذه المسألة ثم كتبت هذا الرد بعد تناول القهوة فى ختام الغداء والمعدة مليئة والحر شديد . وقد تركت نفسى تسبح فى تأمل هادىء أشبه باغفاءة الظهيرة . فهل يعتمد على مثـل تلك النفس الهائمة الحالمة اذا ارتدت الىّ بعد قليـل تهتف قائـلة : لا مسئوليـة على الدولة ولا مسئولية على الأدباء .

أما أن الأدباء لم يقصروا فى امداد المسرح بثمرات أفكارهم فهو دفاع من الأدباء مقبول وحجتهم فيه بسيطة : انه لا يوجد مسرح ، حتى يمدوه . وانى لأذكر أنى قرأت ذات يوم شيئا معناه : ان المسرح هو الذى يخلق الرواية المسرحية وأن الممثل هو الذى يوجد المؤلف . عبارة خبرتها فى ذلك الحين

فوجدتها تصدق فى كل زمان ومكان قامت فيهما نهضة تمثيلية . فعند الأغريق ولد التمثيل قبل أن يوجد التأليف التمثيلى ، وخرج هذا التمثيل من قلوب الآلهة ودرج فى أحضان الدين موسيقى وأغانى وأناشيد ، وقبل أن يظهر المؤلفون التمثيليون العظام لم يعرف عن التأليف فى اليونان الا أنه كلام يلقيه الممثل من فوره عن طريق البديهة والارتجال . وفى الهند يوم قامت على نهر « الجانج » المقدس نهضة تمثيلية رائعة قبل ميلاد المسيح بقرن فيما أذكر أو قرنين اذ أوجد الدين أيضا هذا الفن هناك وجعله مظهرا من مظاهر الاحتفال بذكرى الآلهة وميلاد الملوك ، كان التأليف الارتجالى من أفواه الممثلين سابقا كذلك فيما أعتقد وممهداً لظهور شعراء الهند

التمثيليين ، وفى أوروبا أيضا جرى الأمر على هذا
النحو ، وهل ظهر شكسبير وسكارون وموليير إلا
فى بيئة الممثلين : فوجود المسرح الزاهر يسبق دائما
وجود المؤلف العظيم . ولو أن فى مصر مسرحا
ثابت الدعائم لا نقلب أكثر الشعراء والأدباء كتابا
مسرحيين . وهل شوقى كان يجهل القصة المسرحية .
انه عالجها فى سن الشباب . فلماذا انقطع عنها ،
ولماذا واصل تأليفها فى آخر أيامه . إلا أن يكون
ذلك لنسمة حياة هبت يومئذ على المسرح المصرى
الناشىء . فما الأدباء اذن بملومين . ينبغى أن يشب
الأديب فيجد المسرح قائما على أقدامه فاتحا له ذراعيه
هكذا شب اشيل و سوفوكل و ايروبيد فوجدوا
« التياترون » الأغريق . وشب كاليداسا فوجد

المسرح الهندى ، وشب شكسبير فوجد المسرح الانجليزى ، وشب موليير فى فرنسا وكالدرون ولوب فى اسبانيا فوجدوا الكوميديا الايطالية زاهرة فى فى المدن والريف . ويشب الأديب المصرى فماذا يجد ؟ لا شىء من كل هذا . فان المسرح لم يدخل بعد فى تقاليدنا ولم يكن له شأن بعد فى حياة العامة ولا فى معتقدات الشعب المصرى الحديث ، وإن كانت جذور التمثيل كفن بشرى ما نبتت إلا فى أرض مصر . ولعل الاستكشاف الأثرى يدعم هذا الزعم فى القريب . فانى مؤمن كل الايمان أن مصدر التمثيل عند الأغريق وعند الهنود انما هو فى طقوس تلقين الموتى فى مصر وما كان يتبادل فيها من حوار يجرى بين الكاهن وبين شخص يمثل الميت . ولعلهم

أيضاً كانوا يمثلون فى الأعياد الدينيـة يوم البعث والحساب والعقاب والميزان بكلام مرتجل أوموضوع ولم يكتفوا بتصوير هذه العقائد رسوما على الحيطان. يشجعنى على هذا الزعم عبـارة وردت على لسان هيرودوت أنه رأى المصريين فى الموالد يمثلون آلهتهم فى الساحات فى أشكال بعض الحيوانات الداجنة ويجمعون بينهـا وبين بعض فتيـات يمثلن الأرض والخصب .

إذن ينبغى أن يوجد فى مصر الحاضرة المسرح والممثلون اولا ، وقد يسلم طه حسين بهذا . لكنه قد يصيح قائلا : « فليكن ذلك حقا . فلماذا لم يوجد فى مصـر حتى الآن مسـرح وممثـلون خليقون أن يظهروا المؤلفين العظام . من المسئول عن هـذا

النقص غير الدولة ؟ » . عندئذ أجيب أن الدولة في رأيي لا يمكن أن تسأل في هذا . فالدولة لا تستطيع أن تخلق الفن . كما أن الدولة لا تستطيع أن تقتل الفن . لأن الفن شيء ينبت بنفسه ، لا يدري أحد كيف نبت ، وما من قوة في الأرض تستطيع أن تمنعه من الظهور ، ومع ذلك فهب أن في مقدور الدولة أن تصنع شيئاً لخلق الفن . فما هو هذا الشيء على وجه التحقيق ؟ فليطلب طه حسين إلى الدولة شيئاً بعينه ننظر فيه . وإذا شاء فليتمثلني أنا الدولة .

نعم ، فأنا أرى أحيانا رأي من يقول بأن صلاح هذه الانسانية لن يكون إلا بتسليم رجال الأدب لا رجال السياسة زمام الأمور . فهم أصحاب قلب قبل كل شيء . وهم بهذا أقدر على فهم الشقاء البشري

وأجدر بقيـــادة الانسانية إلى عالم الحرية والاخاء والهناء . ولو أنى أخشى من جهة أخرى أن صاحب الأدب إذا انقلب صاحب دولة طرح منظار الأدب ونظر بمنظار الدولة . أو لم يبلغنا عن شاعر الألمـان « جوته » أنه لمـا أصبح مستشارا للدولة تقدم إليـه صديقه الموسيقى « بتهوفن » يلتمس الأعانة على رقة حاله . فأهمل المستشـار ذلك الالتمـاس ، ونسى أنه شاعر له قلب خرجت منه « إيجمون » !

الدولة والفن

لقد قلت ان الدولة لا تستطيع ان تخلق الفن ولا أن تخنقه . لأن الفن ينبت فى ضمير الشعب . وان نوع الشعب هو الذى يحدد أحيانا ويكيف نوع الفن . وان اهتمام شعب من الشعوب بفن من الفنون هو الذى يرغم الملوك على الاحتفال به والمفكرين على الاتجاه اليه . وذكرت أن عناية الجمهور الأغريق

القديم بالمسرح ودخول المسرح فى عاداته الاجتماعية ، وحرص الملوك والفلاسفة والمثقفين على مشاهدة التمثيل فى اخطر واقدس المناسبات قد جعل التمثيل والتأليف فى يد كبار الشعراء الخالدين .

كذلك فى فرنسا عند ما دخل المسرح فى تقاليد القصور الملكية وفى حياة ارستقراطية الفكر والدم أصبحت ردهات المسارح ومقاصير دور التمثيل هى الأمكنة التى تتم فيها المقابلات الرسمية الخطيرة بين الملوك والعظماء والسفراء . واصبحت خياطات باريس البارعات إنما يعشن على إخراج طريف ثياب السهرة للسيدات ، يختلن بها فى شرفات المسارح . ذلك اليوم الذى اصبح فيه للمسرح الفرنسى المكانة الاجتماعية التى كانت له ، وما تزال ، هو اليوم الذى

ظهرت فيه النهضة الفرنسية المسرحية العظيمة . ولقد قال يوما احد اساتذة السربون :

« إذا نظرنا إلى روايتين تمثلان فى بلاط لويس الرابع عشر ، احداهما مذيلة بامضاء « راسين » والأخرى بامضاء « برادون » فان الفرق بينهما على اهميته هو فى المحل الثانى ، فان مناظر « فرساى » وجو المجتمع فى ذلك العصر وحركة « المراوح » فى ايدى المصغيات الجميلات واستحسان الدوق والكونت والمركيز ، كل هذا هو الذى حدد الشكل النهائى لأدب المسرح الفرنسى » .

فالجمهور هو الذى يوجد المؤلف والمسرح .

والجمهور المحترم هو الذى يوجد المؤلف المحترم والمسرح المحترم . وكل هؤلاء جميعا القوة التى تدفع الملوك والقياصرة القابضين على زمام الشعوب الى ان

يمسكوا أيضا بذلك الحبل الذى يهز مشاعر رعاياهم وان يجعلوه دائما فى أيديهم .. وأن يشدوه عصباً ممدوداً يربط قلوب الجماهير بقلوبهم .

لقد كان نابليون شديد التحمس للمسرح ، يراقب ادارة «الأوبرا» بنفسه ويشرف على اختيار رواياتها حتى وهو خارج فرنسا . لا تشغله عن ذلك حروبه الكثيرة ولا تنقلاته ومغامراته . وفيما يلى بعض رسائل وجهها الى وزرائه فى هذا الشأن وهى منقولة عن كتاب « نابليون وعالم المسرح » لهنرى لكونت .

(بولونيا ٢٣ يونيو ١٨٠٥)

الى مسيو فوشيه

ارجو منك ان تخبرنى ما هى قصة (دون جوان)

التى يريدون تمثيلها على مسرح الأوبرا ؟ فلقد طلبوا الى ان اعتمد نفقات اخراجها . أريد أن أعرف رأيك فى هذه الرواية من حيث فائدتها لروح الجمهور .

نابليون

(برلين ٢١ نوفمبر ١٨٠٦)

إلى مسيو كمباسيرس

إذا كان الجيش يجهد على قدر ما يستطيع فى سبيل شرف الأمة فلا اخفى عنك ان رجال الأدب يصنعون كل شىء فى سبيل الحاق العار بالأمة . لقد اطلعت البارحة على ذلك الشعر الردىء الذى ينشدونه على مسرح الأوبرا . بلغ مسيو دى لوسيه استنكارى لهذا الحال ، وان مسيو دى لوسيه ووزير الداخلية كان فى مقدورهما تفادى ذلك لو انهما عنيا

باعداد الرواية قبل التمثيل بثلاثة شهور . الكل يقول انه ليس لدينا الآن أدب ، ان الذنب فى ذلك واقع على عاتق وزير الداخلية . ان الشعر لا يصنع فى لحظة بمجرد الطلب كما يصنع ثوب من الموسلين . لقد كان على وزير الداخلية أن يتأهب للأمر قبل العمل بوقت كاف ، فان لم يكن قد فعل شيئا بعد لهذا العام فكلفه ان يستعد منذ الساعة للعام المقبل .

نابليون

(فارسوفيا فى ١٦ يناير ١٨٠٧)

الى مسيو شامبانى

مسيو شامبانى ، لقد قرأت بسرور كثير اناشيد الأوبرا . فبلغ المؤلف رضاى ولقد أمرت أن تقدم اليه هدية من أجل قصته «جوزيف» .

فاخطرنى بمـا تم فى ذلك ، على أى حال ينبغى ان يكافأ . واعلم ان خير وسيلة تمجدوننى بها دائماهى ان تقوموا بأعمـال توحى باسمى مشـاعر البطولة إلى الأمة والشباب والجيش .

نابليون

ولقد صاح نابليون فى مجلس الوزراء يوما :

«امضوا ، امضوا قدمافى سبيل الاستكشاف . لا أريد أن يشعر فى عهدى رجل ذو موهبة أن فضله قد غمط . يا مسيو شـامبانى ، إن الأدب فى حاجة إلى التشجيع . وانت الوزير المنوط به ذلك . اقترح علىّ وأشر بالوسائل التى تحدث هزة تبعث النشـاط فى مختلف فروع الأدب ، هذه الآداب الجميلة هى التى كانت فى كل زمان فخر الأمة وزينتها ، إنى

اتوق مهما تكن الظروف ان اثيب وأكافىء قصة تمثيلية رائعة ! »

فالأمر إذن قد انجلى عن هذه النتيجة : الشعب يخلق الفن والدولة تكفل ازدهاره . الأرض تنبت والبستانى يتعهد بازى . فاذا قلنا ان فن التمثيل وجد فى مصر والشرق العربى ولكن الدولة وقفت منه موقف اللاهى عنه غير المكترث له فانها تكون قد تخلت عن واجب من واجباتها العظمى وأفلتت من يدها الزمام الذى تستطيع به أن تسير بالشعب الى عالم السمو الروحى والخلقى .

خطرات فى الفن

الأمم تشعر فى أطوار تاريخها كما يشعر الفرد فى أطوار حيـاته . ومظهر شعورها هو ما نسميه «الفن». ويدلنا تاريخ الفن على أن شعور الأمم خاضع لعين الناموس الذى يخضع له الفرد : ناموس السن والزمن . فكما أن للشباب إحساسه المتجه غالباً إلى الطموح والأمل والتفاؤل بالحيــــاة ، كذلك

الأمم فى عهود شبابها يتجه فنها إلى «المثل الأعلى» .

*
* *

ثم يولى الشباب فيغرب نجم « المثل الأعلى » ، وتمحو الحيـاة بواقعها رائع الأحلام ، وتحل القناعة محل الطموح . ويتجه الأحساس الى الواقع ويكتفى بالـكائن الموجود . فى هـــذا الطور ظهرت « المذاهب الواقعية » فى الفن . هذا الناموس يبدو أثره فى تاريخ كل إحساس إنسانى على الأطلاق : « المثل الأعلى » أولا . ثم « الواقع » . « المسيح » قبل « محمد » .

*
* *

نعم . المسيـح رمز المثـل الأعلى للمشـاعر الأنسانية . ومحمـــد رمز الواقع والحيـاة والمنطق

البشرى . حتى الأديان تخضع لهـذا القانون . إنى مخطىء إذ أقول «حتى الأديان» . أو ليست الأديان قبـل كل شيء تعبيرا آخر عميقـا عمـا فى نفس الأنسانية !

*
* *

إذا اعتبرنا مصر الحديثة اليوم فى طور شباب ، له آمال وأحلام ، فأين الفن المصاحب لهذا الطور ، المعبر عمـا يختلج فيه من إحساس ؟ هل يجوز للفن أن يتخطى هذا الطور ؟ من لم تكن له أحلام زمن الشباب يمر بالحقيقة بعد ذلك ولا يفهم عنها شيئا . ومن لم يكن له مثـل أعلى أيام الصبا هو ناقص التكوين الذى لا رجاء منه فيه الحياة . إنما «الواقع» لا يفهم إلا « بالخيـــال » . ولا حقيقـة بلا حلم .

وينبغى ان يكون هناك حلم كى تكون هناك حقيقة .
ويجب أن نعرف المثل الأعلى أولا إذا أردنا أن
نعرف الحياة .

*
* *

لكن ... من أين ينبع حلمنا ومثلنا الأعلى ؟
من قلب أرضنا . لا شعور ولا تفكير إلا مصدرهما
الأرض . لقد قلت ذات مرة : كما ينتسب الولد
للفراش كذلك الفن للأرض . لقد قلت كذلك
فى فصل عن منابع الفن المصرى [1] أن مصر هى
« البعث » . وأن كل شعور مصر منذ فجر التواريخ
قائم على هذه الكلمة : « البعث » . لماذا ؟ لأن
أرض مصر التى لم يتغير جمالها على الزمن ، تلك التى

(١) راجع كتاب « تحت شمس الفكر »

ترى نيلها وجوها وكل شىء فيها يسير على نظام لا ينحرف منذ الأزل ، قد غرست فى نفوس أهلها الأيمان بها . مصر لن تموت . ولن تموت فيها دجاجة أو بطة أو أوزة . . . كل شىء يبعث ليستأنف على هذه الأرض الخصبة الخالدة حياته الوادعة الهادئة التى لن تزول . موت وبعث . . . وبعث وموت . . . هكذا دواليك مثل ساقية النيل ذات الجرات الحمراء . . .

هلا تكون فى أعماقنا اليوم عقيدة كهذه العقيدة ، فنأمل لكل موت فى نفوسنا ببعث قريب ؟

*

* *

« إيزيس » المرأة والالآهة هى التى بعثت زوجها

« أوزيريس » بعد موته ، وأعادت اليه الحياة . تلك أسطورة مصر الخالدة .

و « شهرزاد » المرأة والآلهة (فى نظرى) هى التى بعثت زوجها « شهريار » بعد موت نفسه ، وأعادت إلى « إنسانيته » الحياة .

الملك الوحشى الذى كانت تقدم اليه فى كل ليلة امرأة ليقتلها فى الصباح ، من حديث شهرزاد تعلم ، وفى قصصها تثقف ، وعادت له نفس .

شهرزاد هى استمرار شخصية إيزيس . لهذا كان شعورى دائما ان كتاب « ألف ليلة وليلة » هو فى جوهره مصرى عريق .

*
* *

« بودا » الرجل والآله خلا إلى نفسه أربعين

يوما تحت الشجرة المقدسة ، ليخرج للناس الحكمة ، فيريهم النور .

و « بيدبا » الرجل والآله (فى نظرى) خلا إلى نفسه زمنا ليخرج كتاب الحكمة لدبشليم الملك الوحشى « فيريه النور » .

*

* *

فى مصر هى المرأة . وفى الهند هو الرجل . فى مصر البعث على يد المرأة .

*

* *

تحت تأثير هذه الخواطر كتبت روايانى « شهرزاد » و « أهل الكهف » و « الملهمة » أو « الخروج من الجنة » .

وتحت تأثير افتتانى بأيزيس ، رسمت أشخاص بطلاتى : « شهرزاد » و « پريسكا » و « عنان » . كل واحدة منهن ليست سوى « إيزيس » فى رداء جديد !

الجمال العارى

سألتنى إحدى الصحف عن رأيى فى « الجمال » المصرى بمناسبة الصيف . فترددت . لأن الصلة بين « الصيف » و « الجمـال » تذكر فى الحال بالأجسام العارية من تماثيل الرخام الحية التى تخطر فوق الرمال كأنها عرائس البحر الخرافية ، التى تقول الأساطير إنها كانت تغرى بسحرها النوتيـة فيقتفون آثارها

إلى حيث تعانقهم الأمواج وتجذبهم الهاوية !.

على أن الحديث عن الجمال فى ذاته يغريني دائما وان كنت ولله الحمد لست من صرعاه . وأقصد بالجمال هنا « الجمال الحى » . ذلك أن « الجمال الفنى » هو وحده الذى يستطيع أن يصرعني . فلا بأس اذن من أن أتكلم بغير خوف ولا حذر .

تسألوننى عن « الجمال فى مصر » فاسمحوا لى أن أقول انى لم أره . فالجمال الذى يعرض عاريا على الشواطىء للأعين العابرة لا يسمى فى عرفى جمال . إنى لا أستطيع أن أفصل الجمال الخارجى عن الجمال الداخلى . فالجمال عندى وحدة لا تتجزأ قوامها الجسم والروح معا ، كالضوء فى الكوكب والعطر فى الزهرة . وأظن هذا هو الرأى عند أكثر رجال الفن

فان المصورين والمثالين والشعراء عند ما
أرادوا أن يخلدوا « جمال المرأة » فى لوحاتهم
وأحجارهم وأشعارهم لم يلتفتوا إلى الجسم الظاهر
وحده ولكنهم سجلوا الجمال الداخلى للمرأة أيضا .
هذا ما يفسر لنا تزاحم المصورين الخالدين من أمثال
« بيروجينى ورفاييل واندريا دلسارتو » على شخصية
مريم البتول « المادونا » عندما أرادوا تسجيل جمال
العذراء . كذلك فعل صانعو تماثيل إلهة الجمال :
« فينوس » فقد حرص صانع تمثال « فينوس دى
مديتشى » أن يظهر لا جمال الجسم وحده بل جمال
الروح أيضا فى ذلك الخفر والحياء وروح الفضيلة
المتجلية فى حركة اليد لذلك التمثال الخالد . كما عنى

الفنان الذى صنع تمثال « فينوس دى ميلو » باظهار جمالها الداخلى فى تلك الوقفة التى تدل على الترفع والجلال والنبل والسمو الروحى . كذلك الشعراء مثل « دانتى » و « بترارك » فى اشادتهما بالجمال الحق : جمال الفضيلة والطهر للمرأتين اللتين الهمتاهما أنبل الاحساسات وأرفع المشاعر وهما : « بياتريس » و « لورادى نوفيس » . فالفضيلة كما ترى شرط أساسى عندى « لجمال » المرأة .

وانى لا أصدق مطلقا هذا الهراء الذى يتحدث به اليوم كثير من الحمقى عن صفات «الاغراء» فى المرأة واعتبارها من مزايا جمالها الداخلى . كلمة « الاغراء » و « السكس آبيل » و «اليومف» وكل هذا السخف ليس إلا مظهرا من مظاهر الانحطاط الصارخ فى

مستوى الفن الحقيقى ودليلا من أدلة الانهيار المخجل للقوى الروحيـة فى عصرنا الحـاضر . وإذا استمر الحال زمنا آخر على نزع الجمال الروحى النبيل هكذا والالقـاء به فى اهمـال مهين بعيدا عن جمـال الجسد الرخامى البارد فقولوا العفاء على كل فن عظيم وكل ذوق سليم .

إنى واثق انه لا يوجد فنـان واحد حق يرى جمالا فى ذلك الصف الطويل من اللحم العارى الذى يعرض على الشـواطىء أو على المسارح فى شكل سابحات أو راقصات . إن الجمال أيهـا النـاس ليس مجرد لحم أو رخام . انمـا هو شىء آخر داخل ذلك الاطار الأصم . هو شىء نورانى يضىء ذلك الهيكل الخارجى . إن الجسد العارى وحده جثـة بلا روح

ومعبد بغير إله .

أما الجانب الآخر من السؤال وهو جمال المرأة فى مصر فلست أدرى ماذا أجيب عنه . فهو فضلا عن دقته ، مما لا ينبغى أن يؤخذ فيه رأيى . فأنا لست من رواد الشواطىء ولا المسارح ولا حتى المجتمعات البريئة التى تقع فيها الأعين على الوجوه الوضيئة . انما أستطيع على كل حال أن أقول فيما يتعلق بى إن عينى لم تقع فى مصر على جمال كامل . فالمرأة التى تأنس فى صورتها شيئا من الملاحة تحسب انها قد ظفرت بكل شىء فتتيه دلالا وتنسى أن جمال الصورة وحده لا يكفى . وأن لابد له من الشطر الآخر: جمال النفس . وانها ما زالت ناقصة عليها أن تزين نفسها بالتثقيف وأن تحلى روحها بالفضائل . لقد كانت

«مدام ريكاميه» أجمل نساء عصرها وأعمقهن معرفة وثقافة . وكذلك كانت كثيرات من نساء صدر الاسلام ، لا يغرهن ولا يخدعهن الجمال الخارجى عن الجمال الداخلى .

فأين اليوم المصرية التى وهبها الله جمال الصورة فقرنت به جمال الروح والعقل والأخلاق ؟! . إن أكثرهن دمى من الجبس مصبوغة ، وعرائس من الخشب مطلية . أشكال قد تسر الأنظار دقيقة أو دقيقتين ولكن العياذ بالله إذا حكم عليك بالجلوس اليهن ساعة أو ساعتين ، وماذا تنتظر أن تجد خلف هذه القشرة وهذا الطلاء ؟

أيتها النساء والفتيات اسمعن منى نصيحة خالصة

لوجه الله : انظرن ساعة فى المرآة وساعتين فى الكتاب النافع الذى يجلى لكن كنوز نفوسكن وفضائلكن . اجعلن ساعة لمرآة الوجه وساعتين لمرآة النفس . اذا أردتن الجمال الذى يدوم .

انى لواثق من النتيجة لو سمعت نساؤنا النصيحة : نتيجة كأنها من فعل السحر والسحرة . فان الدمى المطلية ستضىء من الداخل بنور جميل ، والعرائس الخشبية ستتحرك فى حياة خصبة منتجة ناشرة حولها الخير والسعادة . . أما من آنست فى صورتها نقصا فى الجمال فهى عادة تلك التى تتوفر على تثقيف نفسها وتحلية روحها بالفضائل لتعوض بجمالها الداخلى ما فقدته من الجمال الخارجى هذه المرأة أيضا تحسب انها بهذا الجمال الداخلى وحده تستطيع أن تظفر بكل شىء .

فتراها تهمل جسمها حتى يصبح منظرها يزهد الناس حتى فى الدنو منها لاستكشاف كنوزها الخفية . إلى هـذه أيضا أوجه النصيحة : لا تهملى جسمك بل تعهديه بالألعاب الرياضية وبكل ما يظهره فى أحسن هيئة . فان فعلت ذلك استطاعت وضاءة نفسك أن تضفى عليه نورا يظهره جميلا وان لم يكن بالجمال الموهوب .

ليس فى مصر جميلات بالمعنى الكامل الشامل لهذه الكلمة . لأن الجمال الخارجى منفصل عندنا عن الجمال الداخلى . ومن أعطت احدهما لا تريد أن تكمله بالحصول على الآخر .

تلك مسألة فهم وارادة . وهما خلتان ينبغى أيضا أن تتوافرا فى المرأة المصرية . . .

الالهام النفسى

يحدث أحيانا أن يفوه الانسان بأشياء لا يدرك خطرها إلا فى المستقبل . وهذا ما حدث لى . لقد نشرت فيما يظهر أشياء منذ سنوات ثلاث لم ينبهنى إلى أهميتها إلا الهر هتلر منذ شهرين . فقد أذاع نداء دوى صداه فى أرجاء أوروبا يستنهض به شعوبها إلى ما سماه « الحروب الصليبية » ضد « الماركسية أو

البلشفية » ثم عبأ الملايين من البشر للزحف على روسيا التى استقبلته هى الأخرى بملايين من البشر . كانت تلك أول مرة فى نظر صحف العالم اطلقت فيها اسم « الحروب الصليبية » على هذه الملحمة الانسانية الكبرى . هنا تذكرت انى أنا توفيق الحكيم الكاتب المصرى كنت ولا فخر أول من أطلق هذا الاسم على هذه المعركة التى تنبأت بها قبل وقوعها بسنوات ثلاث . وهرعت إلى كتابى «عصفور من الشرق» الذى نشر عام ١٩٢٨ وفتحت صفحة ١٠٢ فى آخر الفصل الثانى فاذا به هذه الكلمات :

« . . . . وإنى لأتنبأ لك منذ الآن بوقوع نوع من «الحروب الصليبية» بين «الماركسية» و«الفاشستية» تحشد فيها الدهماء ضد الدهماء وتتناثر فيها الجثث

وتتطاير الأشلاء ... الخ »

عجبا من العجب ! لو كان هذا الكتاب مترجما إلى الألمانية لقلت أن هتلر اقتبس هذه العبارة على عادته فى اقتباس آراء الأدباء والمفكرين . ولكن الكتاب لم يترجم إلا إلى الفرنسية وفى الحق انه ما كاد ينشر فى هذه اللغة حتى فطن بعض اذكياء النقاد إلى ما فيه من تنبؤات . أما أنا فكنت آخر من فطن إلى مواهبي كمنجم !! اليوم فقط أتأمل هذه الظاهرة بشيء من الاهتمام وأقول فى نفسى : أهى قوة ملاحظة ودقة استنتاج لما يحدث حولى من احداث العالم أم هو بعد نظر سياسى وحسن استقراء لما وراء الآفاق . من المبالغة أن أزعم أن لدى هذه الصفات . انى حقيقة أرى فى نفسى أحيانا قدرة

فطرية على استخراج اشيـاء كثيرة من مجرد النظرة الواحدة واللمحة العابرة سواء كان ذلك فيما أقرأ فى الكتب والأخبار أو فيما الحظ من مشاهد الحياة والأحداث . ولكنى أكثر ميـلا إلى الاعتقاد فيما يسمونه الألهام . نعم وانى لاتذكر الآن حوادث كثيرة فى طفولتى كان يدهش لها من حولى . أذكر الآن منهـا حادثة أو حادثتين وكانت سنى لا تتجاوز السادسة فيما أظن : كنا يوما جلوسا وإذا ببرقيـة جاءت تنعى عما لى كان اسمه « محمود » . برقية ما كاد يفضها الحاضرون ويقرأون نصها « محمود توفى اليوم » حتى بكوا وهاجوا وماجوا وقاموا إلى ثيـاب الحداد يرتدونها . فسألتهم ما الخبر فقالوا لى « عمك مات » فقلت « انه لم يمت » فعنفونى فأصررت وصحت بهم

« لم يمت . لم يمت . . أنا أقول لكم انه لم يمت وسترون » فعجبوا قليلا لى ولكنهم أخذوا قولى على انه عبث أطفال وعادوا إلى بكائهم . وجاء العصر وإذا بالميت يحضر ومعه سلة فيها خوخ وأخرى فيها كعك . فنظروا اليه واجمين ونظر اليهم دهشا ورأى حدادهم فقال هامسا : (من الذى مات عندكم ؟) فأراد أحدهم أن يقول له (أنت) . ولكنى قاطعته عند ذاك بصيحة الظفر والانتصـار (ألم أقل لكم انه لم يمت) ؟ وانجلت حقيقـة الأمر أخيرا عن غلط عامل التلغرف الذى استبـدل كلمة (توجه) بكلمة (توفى) ومر الحادث بسلام ولكن الجميع اعتقدوا فى الولاية .

وحدث مرة أخرى أن كنت أطل من نافـذة تشرف على الخط الحديدى فدخل قطار المحطة فقلت :

فى هذا القطار جدتى قادمة من الاسكندرية . فسخر منى أهلى لأن جدتى قد طال عليها العهد دون أن تسافر أو تترك بلدها . وأن مجيئها ينبغى على الأقل أن تسبقه برقية . ولكن دهشة الجميع بلغت غايتها عندما رأوا عربة تقف بباب البيت بعد نصف ساعة من كلامى وإذا هى جدتى تدخل علينا بحقائبها .

وكثرت أمثال هذه الحوادث منى حتى أصبحت فى نظر المحيطين بى وليا من أولياء الله . ذلك جانب من طفولتى كدت أنساه ويحسن بى أن أرجع اليه يوما لأدونه . فطفولتى مملوءة بالغرائب منذ ولدت . وحتى ساعة ولدت قيل انى لم ابك مثل سائر الأطفال فحسبونى نزلت ميتا وكان الوقت ليلا ، فنبذونى للاعتناء بالأم المريضة . فلما عادوا إلىّ وجدونى فى

أتم صحة سا كتا صامتا أنظر فى عجب وسرور إلى نور المصباح . اترانى أحببت (النور) منذ النظرة الأولى ! ينبغى أن أنفذ إلى طبقات الحكمة العليا أو على الأقل أنتظر آخر أيام الشيخوخة حتى أكون خليقا بالكتابة عن أسرار الطفولة !

هنالك إذن ما يدل على انى خلقت لأكون (وليا) . ولكن الحياة (المودرن) وما فيها من أساليب التعليم العصرى والثقافة النفعية تعرف كل الاعمال وفيها متسع لكل الوظائف من المهندس والضابط والطبيب والمحامى وحتى السياسى والصحافى والممثل والحرامى ولكنها لا تتسع لوظيفة (ولى) . لم يعد (للولى) مكان فى مجتمعنا الحديث كما كان له فى المجتمع القديم . فماذا إذن كان يصبح مصيرى ؟!

هكذا انطفأت فى نفسى تلك الموهبة السماوية .
وأسدلت بينى وبين الغيب الحجب . ثم اختـــار لى
القدر حرفة لعلهـــا أقرب الحرف إلى تلك الطبيعة
الغريبة . هى حرفة القلم ، والله قـد « .. علم بالقلم ،
علم الانسان ما لم يعلم » به على الأقل استطيع أن
أنفذ ببصيرتى أحيانا خلال حجب النفس البشرية .
شكرا للقدر اذن على انقاذه اياى من مهنة (الولى)
فى هذا الزمان . أن الاضطلاع بها اليوم يحتـاج إلى
صفات عملية . والقدر يعلم انى رجل غير عملى . فأنا
لن أعرف كيف استغـل مواهب السماء استغـلالا
عصريا . وما كان يخطر لى على بال أن أستخدم
الولاية فى (التنجيم) فيصدر لى فى كل عام (تقويم) !
لقـد خشى القدر علىّ الموت جوعا إذا جعلنى

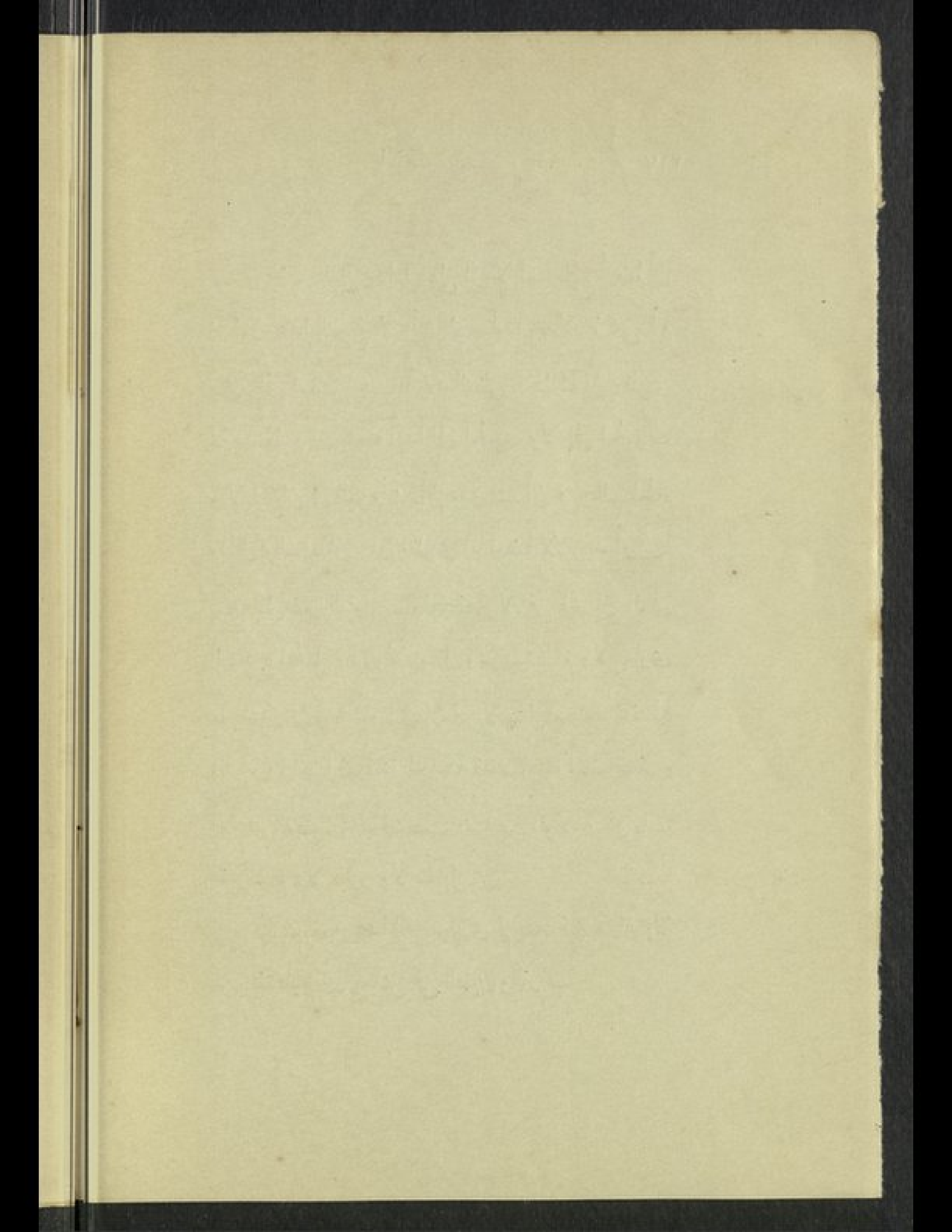
(وليا) فى هذا المجتمع المادى . فدفعنى الى القلم وقال
لى ما دمت اعرف انك لن تخرج (تقويم الحكيم)
فاكتب على الأقل كتابا مثل (حمار الحكيم)
وسأهمس من آن لآن بين سطورك البسيطة
الأسلوب وبين كلماتك الواضحة كماء الغدير بأشياء
بعيدة التفسير ، لن يراها غير القارىء العميق . بل
لن تراها أنت نفسك فى كل الأحيان . والحق انى
لحظت أخيرا فى بعض كتبى انى تنبأت دون أن أشعر
بشىء من تصرفاتى فى المستقبل ، وانى خططت
بقلمى بغير ان ادرى خطوطا فى لوح قدرى . ان
اكثر الكتاب يعيشون حياتهم اولا ثم يكتبونها بعد
ذلك . أما أنا فاكتب أحيانا حياتى أولا ثم أعيشها
بعد ذلك . يا له من شىء مخيف : أن يصدر الانسان

حكما على نفسه وعلى حياته ومستقبل ايامه بالقلم الذى تعبث به اصابعه ! اللهم ارحمنى من نفسى ومن قلمى !

على انه قد يسألنى سائل فطن : اذا كنت لم استطع ان اكون وليا ولا منجما فلماذا لا اكون دبلوماسيا ؟ ان هؤلاء الثلاثة يشتركون من غير شك فى عين الهبة : وهى النظرة البعيدة المرمى . هذا صحيح . ان الولى والمنجم والدبلوماسى من فصيلة واحدة والفرق بينهم هو ان الولى لا يريد ان ينظر إلى غير السماء . والمنجم لا مانع لديه من أن ينظر أيضا إلى جيوب الناس ممن يبيعهم (بالقطاعى) بعد نظره ! أما الدبلوماسى فهو ينظر إلى السماء وإلى الجحيم وإلى الجيوب وإلى كل جهة يستطيع بعد نظره أن يريه فيها مطمعا من مطامعه الكبيرة . هنا أصرح بأن

عندى الف دليل ودليل على انى لا استطيع أيضا أن
اكون هذا النوع الثالث لو سلمنا جدلا بزعمى أو
وهمى انى املك احيانا بعد النظر . ذلك أن نظرى
لا يستطيع ان يتجه أبدا الى الجحيم ولا إلى الجيوب
والا لكان لى اليوم شأن واى شأن فى عالم الجاه
والمال والسلطان . ان نظرى انا ايضا لا يريد أن
يتجه إلى غير السماء . ولكن لا فى ايمان الولى
الساذج الجميل الذى لا يسأل ولا يستطلع ولا يمارى
بل ايمان تشوبه أحيانا علامة الاستفهام عن حقيقة
(النور) . انها ثقافتنا الحديثة قد سلبتنا أيضا صفاء
الايمان الفطرى . فهبطت بنا عن الولاية درجات
بغير داع ولا مبرر ولا مقابل .

اللهم العن هذا العصر الذى لم يعد فيه مكان إلا
لمن يستطيع أن يعيش فى الطين والتراب . . .



الفهرس

صفحة

